كلية الآداب بقنا

قسم الدراسات الإسلامية

التجويد والقراءات

إعداد /

أ.د. علي علي محمد جابر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بقسم الدراسات الإسلامية

بكلية الآداب، جامعة جنوب الوادي بقنا

استاذ المقرر

د/ زينب محمد بدوي

للعام الجامعي

٢٠٢٣/٢٠٢٤م

بيانات الكتاب

الكلية: الآداب

الفرقة: الثانية

التخصص: قسم الدراسات الإسلامية

تاريخ النشر: ٢٠٢٣م /٢٠٢٤م

عدد الصفحات: ١٦٠

أستاذ المادة: أ.د/ علي علي جابر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونصلى ونسلم على خاتم رسل الله، المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد؛؛؛

ان كان من تشريف الله سبحانه لهذه الأمة أن اختار نبي الرحمة من بينها : " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ". ثم أنزل كلامه بلسانها، قال تعالى : " وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين "وزيادة في شرفها والرحمة بأصحابها ، نزل القرآن بقراءات متعددة توافق لهجاتها ، ولغاتها تيسيرا لحفظه وقراءته عليهم، فعرفت الأمة فضل هذه المنة، وشكرت ربما بحفظ كتابه، وقراءاته وأحكامه والعمل بنا ونقل إلينا محفوظا من التغيير والتحريف بألفاظه، وحركاته و أصواته، فكان ذلك دليل صدق لقوله تعالى : " **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**". وكان التعدد قراءاته حكم وفوائد عظيمة، منها ما يتعلق بإعجازه، ومنها ما يتعلق بأحكامه وشريعته، ومنها ما كان سببا لثراء العربية وعلومها ولهجاها، ومنها ما كان دليلا على جهود علمائها وارتفاع درجاتهم ....

وسوف أعرض في هذه الدراسة بعض المباحث النظرية التي تعد مدخلا لعلم القراءات، جعلتها من بابين، في الباب الأول : –

– التعريف بالقراءات، ومصدرها، وفوائدها .

– نشأة القراءات وضوابطها وأقسامها

– أحكام التجويد .

– علاقة القراءات بالأحرف السبعة .

والباب الثاني جعلناه دراسة تطبيقية في تفسير جزء عم ، وبيان ما اشتملت عليه آياته من قراءات .

والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، والحمد له رب العالمين.

الباب الأول

الفصل الأول

تعريف القراءات وفوائدها:

القراءات جمع قراءة، وهي من الفعل قرأ، ومعناه : الجمع والضم، وسمي القرآن قرأنا لأنه يجمع السور فيضمها إلى بعض، وقارئ القرآن سمى بهذا الاسم لأنه يضم أصوات الحروف لتتكون الكلمات التي ينطق بها [١].

ما معنى القراءة في الاصطلاح : – " هي مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراءات، مخالف به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه [٢].

وقيل : القراءات وجوه مختلفة في النطق بألفاظ القرآن، وذلك من النواحي الصوتية، أو التصريفية، أو النحوية [٣].

مصدر القراءات ونوع الخلاف بينها :–

١– أنزلت القراءات بالوحي من عند الله سبحانه، كما أنزل القرآن، فجبريل ال عليه السلام كما نزل بلفظ القرآن ونصه، علم النبي ﷺ أيضا كيفية أدائه وقراءته، وبناء على ذلك فهل يمكن أن يقال بأن القرآن والقراءات شيء واحد ؟ قيل : بأنما حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المترل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز،

---

[١] - الصحيح مادة قرأ.
[٢] - انظر: مناهل العرفان ٤١٢/١
[٣] - انظر مدخل في علوم القراءات . السيد رزق الطويل

والقراءات : هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف أو كيفيتها، من تخفيف وتشديد وغيرها( )

والصواب أن القرآن والقراءات حقيقتات متكاملتان ومن الأدلة على ذلك:

١- من ناحية اللغة أن القراءة والقرآن من مادة واحدة وهو الفعل قرأ .

٢- ومن ناحية الشرع، قوله تعالى : " **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** "، قال ابن عباس رضي الله عنهما : وقرأته أي علينا جمعه في صدرك وقرأته عليك( ). ومن ذلك قوله تعالى : " **قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ** "( )، فالله سبحانه منع أفضل الخلق ﷺ من تبديله بأي نوع سواء من ناحية اللفظ أو الشكل أو المعنى، فكيف يجوز لغيره أن يبدل فيه ! .

٣- ومن ذلك الأحاديث المتعددة التي دلت على أن القراءات وحى منزل مثل القرآن، فقد قال ﷺ : "أنزل القرآن على سبعة أحرف "، وكذلك روى مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قراءة سورة الفرقان واختلافه مع هشام بن حكيم، و قول رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد سماعه لقول كل واحد منهما :" هكذا أنزلت" فدل علي أن القراءات مترلة ، وغيره من الأحاديث.

٤- فلو كان الاختلاف مرجعة إلى القراء لذهب الإعجاز القرآني كما قال ابن الجزري، ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام " فاقرءوا ما تيسر منه " بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من

تلقاء نفسه، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان معرضا أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله". (") وبناء عليه فالقرآن والقراءات شيء واحد، ولعل الزركشى رحمه الله أراد اختلاقهما من ناحية التعريف الاصطلاحي، فالعلاقة بينهما كالعلاقة بين الاسم وصفته، فالقراءة صفة من صفات النطق بالقرآن .

نوع الاختلاف بين القراءات :

الخلاف بين القراءات من باب خلاف التنوع لا التضاد والتناقض :-

- لأن الله س بحانه نفى عن كتابة التناقض بقوله تعالى : " أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "(٣)
- ولأن التناقض دليل بطلانه، والله سبحانه وتعالى قال عنه : "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد ").(٤)
- كما أن التناقض لا يجتمع مع الإبانة والوضوح. وقد وصف الله تعالي كتابه فقال : " نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين"(١).

وهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء، فإن اختلاف القراء كله حق وصواب نزل من عند الله، وهو كلامه لا شك فيه، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادى، والحق في نفس الأمر فيه واحد، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب

يحتمل الخطأ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى صواب، وحق في نفس الأمر نقطع بذلك وتؤمن به.

صور الاختلاف بين القراءات :

وبناء على ذلك فالخلاف بين القراءات من باب تنوع الدلالات ويتمثل في أمور :

١- اتحاد المعنى واللفظ والتغيير فقط في هيئة النطق، وأداء اللفظ كالقصر والمد، والتفخيم والترقيق وغيرها.

٢- اختلاف في اللفظ والمعنى واحد، ومثاله : " سأل سائل " قريء :" سأل " بالهمزة، وقريء بالألف بدون همز وهي لغة قريش .ومثل : الصراط والسراط والمعنى واحد . ومثل: العهن والصوف، وكذلك ما كان الخلاف راجعا إلى تغير الحركات دون تغير المعنى مثل: خطوات وخطوات، عليهم وعليهم، و "القدس والقدس، ويحسب ويحسب.

٣- من اختلاف اللفظ وكذلك المعنى، مع جواز اجتماع المعنيين في شيء واحد. ومثاله قراءة : مالك يوم الدين، وملك يوم الدين، فالمراد بهما واحد وهو الله سبحانه، مع أنهما مختلفان في اللفظ وفي المعنى، لأن المالك قد لا يكون ملكاه ومثل قراءة قوله تعالى : فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه " بالرفع والنصب لآدم . وقوله تعالى: " ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون "، فيكذبون بالتخفيف، أي في أخبارهم، وبالتشديد يكذبون بالنبي ﷺ (٢)

٤- اختلاف اللفظ والمعن، وامتناع اجتماعهما في شيء واحد، بل لكل قراءة معنى حلاف الآخر، ولكن يتفقان من وجه آخر يقبله السياق، فينتفى التناقض بينهما، مثل قوله تعالى : " حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا" (٣) ، قرىء كذبوا بالتشديد، والمعن تيقن الرسل أن قومهم كذبوهم، وقرىء بالتخفيف، والمعنى: و توهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به فالظن الأول يقين ، و الضمائر الثلاثة في الآية تعود على الرسل، والظن الثاني شك والضمائر للمرسل إليهم (). وفي قراءة شاذة كذبوا بفتح الكاف وتخفيف الذال، أي ظن قومهم أنهم قد كذبوا).

ومن ذلك قوله تعالى : " وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال "، فإما أن تكون " أن " مخففة من الثقيلة ، أي وإن مكرهم كان من الشدة بحيث تقتلع منه الجبال الراسيات من مواضعها . وفي القراءة الثانية تكون " إن " نافية ، أي التناقض ولا التعارض ، والغالب عليه أنه خلاف لفظ لا يترتب عليه تعدد للمعني .

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : " يوم لا تملك نفس النفس شيئا " ، قرئ " يوم " بالضم ، إما لأنه خبر المبتدأ محذوف تقديره : هو يوم ، أو على أنه بدل لكلمة يوم السابقة في قوله تعالى : " وما أدراك ما يوم الدين " . وقرئ بنصب " يوم"، على أنه ظرف زمان ، أو على تقدير : أذكر يوم ، أو على تقدير : يدانون يوم ، أو على تقدير : هذه الأمور تكون يوم .

ومن أمثلته كذلك قوله تعالى : " ذو العرش المجيد " ، قرئ " المجيد " بالجر صفة للعرش ، وقرئ بالرفع صفة لذو ، أو خبر ثان .

وكذلك في نفس السورة : " بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ"، قرئ " محفوظ "، نه بالجر صفة للوح ، وقرئ بالضم صفة للقرآن .

– وقد يكون الاختلاف بين القراءات راجع إلى احتمال بناء الفعل للمعلوم ، وللمجهول . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : " تعرف في وجوههم نضرة النعيم " : قرئ " تعرف " بفتح التاء وكسر الراء مبني للمعلوم وتكون " نضرة " مفعولا به . وقرئ بضم التاء ، وفتح الراء ، على أنه مبني للمجهول ، ونضرة تعرب نائب فاعل . الثالث : اختلاف بين القراءات يرجع توجيهه إلى النواحي الصرفية ، وغالب ذلك اختلاف شكلي أيضا لا اختلاف معني ، وقد يكون اختلاف معين لكن يقبله سياق الآية ، فيمكن الجمع بين المعنيين في دلالة الآية .

أ– ومن الأمثلة على ذلك احتمال الفعل للتشديد وعدمه ، ومن ذلك قوله

تعالى : " إذا البحار سجرت " ، قرئ " سجرت " ، بتخفيف الجيم ، وقرئ بتشديدها على التكسير . وكذلك في السورة الأفعال : " نشرت ، سعرت".

ب–وقد يحتمل الفعل أن يكون مزيدا أو مجردا ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : "ولا تحاضون على طعام المسكين " ، قرئ بفتح الحاء والألف على أن أصل الفعل " تتحاضون " ، فحذفت إحدى التائين . وقرئ بضم الحاء وحذف الألف " تحضون "، على أن أصل الفعل "حض".

ج– وقد يحتمل بناء اللفظ أن يكون اسم فاعل ، أو صفة مشبهة ، ومثاله قوله

تعالى : "لابثين فيها أحقابا " ، قراءتان : "لابث "، على أنها اسم فاعل ، و "لبت "صفة مشبهة ، ومعناها : مقيم في النار وما كث فيها . ومعن القراءتين واحد ، وقيل : البث" أقوى في المعين لأن اللابت من وجد منه اللبث مطلقا ، وأما " لبت " الذي يجثم في المكان ولا ينفك عنه .

الرابع : اختلاف بين القراءات يرجع في توجيهه إلي أسباب بلاغية ، كالاختلاف في الإسلوب للتشويق ، أو الأغراض الأخرى كالوعد والوعيد ، أو الاحتقار ، أو غير ذلك .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : " كلا سيعلمون " ، قراءة العامة بالياء ، لأن الكلام من أول السورة خبر وليس خطابا . وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب بغرض الإلتفات .

ومنه قوله تعالى : " بل تؤثرون الحياة الدنيا " ، قرئ " تؤثرون " بالتاء على الخطاب ، وقرئ بالياء لخطاب الغائبين ، والخطاب للمسلمين والكفار .

ومنه قوله تعالى : " كلا بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين ، وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما " ، قرئ " لا تكرمون ، ولا تحاضون ، وتأكلون ، و تحبون " ، بالياء في هذه الأفعال على وجه الإخبار عن الغائب ، وهو جنس الإنسان ، والمعني أن الإنسان عادته عدم إكرام اليتيم ، ولا العطف على المسكين .... وقرئ بالتاء في كل الأفعال على أنه خطاب للإنسان ، ويكون من باب الإلتفات تلوينا للأسلوب .

مباحث علم القراءات :

يتناول هذا العلم عدة مباحث عظيمة من علوم القرآن التي كانت من

أسباب حفظ هذا الكتاب الكريم، والدستور العظيم ومن أهمها:

١- **علم القراءات:** ويعالج الأصول المطردة للقراءات من الوقف والابتداء، والمد والقصر، والإمالة والفتح، والهمز والتسهيل وغير ذلك . وكذلك يتناول فرش القراءات، وهي الأصول غير المطردة التي نقلت بأسانيد صحيحة مثل قوله : يخادعون قريء يخدعون وذلك في سورة البقرة : " وما يخدعون إلا أنفسهم »

وفي النساء قريء : " يخادعون " فقط بقراءة واحدة : " إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم" [١]، وكذلك قوله تعالى : " غير المغضوب عليهم " بضم الهاء في " عليهم "[٢].

٢- **علم القراء** : ويتناول الترجمة للقراء الذين نسبت إليهم القراءات، وكذلك الترجمة للرواة الذين نقلوا عنهم القراءة، وبيان درجاتهم من الثقة والضبط،

ودراسة كل رواية وأسانيدها لمعرفة القراءة المتواترة وغير المتواترة، كالآحاد والشاذة والموضوعة .

٣- **علم رسم المصحف العثماني** : اهتم هذا العلم بدراسة الصورة الخطية التي رسمت بها الحروف في المصحف الإمام، وبيان الأسس والقواعد التي بني عليها

---

[١] سورة نساء الآية :١٤٢

[٢] انظر النشرة ٢٠٦/٢

هذا الرسم، والفرق بين الخط العثمان والخط العادي، والحكمة من هذا الرسم ... الخ، والسبب في الاهتمام بالخط العثمان أنه صار أساسا من أسس قبول القراءة، ف لا تقبل قراءة خالفت رسمه لأنه بمجمع عليه بين الصحابة رضي الله عنهم، فما خالفه يكون شاذا أو منسوخا.

٤-**علم التجويد** : وهذا العلم يدخل ضمن مادة القراءات، لأنه يعالج أصول الأداء للألفاظ القرآنية من ناحية مخارج الحروف وصفاتها، وكذلك أحكام النون الساكنة والتنوين، والمد وأنواعه، وغير ذلك .

٥- **علم توجيه القراءات** : فالاحتجاج لكل قراءة وبيان جوازها من ناحية النحو والصرف واللغة، يشغل حيزا كبيرا من علم القراءات، وقد تناول هذا الجانب علماء النحو واللغة والقراءات وخصوه بمؤلفات، فكان ذلك سببا لثراء هذه العلوم و خصوبة مادتها.

٦ – كذلك يشير هذا العلم إلى بيان أهمية القراءات والحكمة من تعددها، وتاريخ نشأتها وغير ذلك مما يتعلق بها .

والمتأمل في مؤلفات علم القراءات يجد أن منها ما يتحدث في هذه العلم كلها فيجمعها في مؤلف واحد، مثل ما فعله العلامة ابن الجزري في كتابه

النشر في القراءات العشر "، ومنها ما هو مقصور على جانب واحد من العلوم السابقة، مثل كتب الاحتجاج للقراءات، كالحجة لأبي على الفارسي، ومثل" غاية النهاية " لابن الجزري التى قصره على طبقات القراء، وكذلك هناك مؤلفات

خصصت للمصحف والرسم العثماني، ومؤلفات اقتصرت على علم التجويد ... الخ [1].

الفوائد والحكم من تعدد القراءات:

التعدد القراءات حكم وفوائد عظيمة، تتعلق بجوانب عدة، منها ما يدل على رحمة الله سبحانه بهذه الأمة وزيادة شرفها، ومنها ما يتعلق بإعجاز القرآن وبلاغته، ومنها ما يتعلق بأحكامه وشريعته، ومنها ما يثري علوم العربية والشرعية المتعددة . ويمكن حصر ذلك في عدة أمور:

أولا : فوائد تتعلق بالأمة الحاملة للقرآن، من حيث الرحمة بأهلها وزيادة أجورها:

أ- أول فائدة لذلك ما كان سبب في تعدد القراءات ونزول القرآن على سبعة أحرف، وهي التيسير على هذه الأمة التي شوفهت بالقرآن، وقد كانت قبائل متعددة ذات لهجات متنوعة مختلفة من ناحية ذات الأصوات وطريقة النطق والأداء للألفاظ، واختلاف مدلول بعض الألفاظ وه نهرها بين اللهجات، مع أن كل القبائل تجمعهم العربية والعروبة، فلو أخذت كلو ما بقراءة القرآن على لهجة واحدة لشق ذلك عليهم، كما يشق على القاهرى أن . يتكلم بسهولة لهجة الصعيدى، بالإضافة إلى أن العرب أمة أمية ندر فيها الكتابة والقراءة، وفيها الصغير والشيخ الكبير والمرأة مما يصعب عليهم التحول عن لهجتهم . فكان سبب ورود القرآن على سبعة أحرف للتخفيف على هذه الأمة، توسعة ورحمة بما وإجابة لدعوة نبيها صلى الله

[1] انظر مدخل لعلم القراءات ص ٤٣

عليه وسلم بقوله : " اللهم خفف عن أمتي"، وقوله : " إن أمتي لا تطيق ذلك "، وغير ذلك مما سيأتي من الأحاديث .

ب – سهولة حفظ القرآن وتيسير نقله، لأن حفظ كلمة أو جملة ذات وجوه متعددة من المعاين، أيسر من حفظ جمل من الكلام تؤدي معان هذه القراءات المتعددة، فتعددت القراءات في معانيها يمثل تعدد الآيات والألفاظ . .

ج– من ذلك إعظام أجور أمة المسلمين وبيان شرفها حيث أهم أفرغوا جهدهم فى تلقى هذه القراءات المتعددة، وحفظها، والاعتناء بسندها و تحقيقها ، وبيان أحكامها وخفى أسرارها وضبط لفظها ، وقراءتها حتى مقادير المدات :وتفاوت الغنات ومخارج كل حرف وصفته وغير ذلك من القواعد والأصول التي من شأنها حفظ القرآن بحفظ قراراته .

د– ومن ذلك بيان شرف، هذه الأمة وعلو درجتها على غيرها من الأمم بسبب إقبالها وتلقيها كتاب ، ربما على أكمل وجه من الاعتناء بألفاظه لفظة لفظة وإتقان تجويده، وحفظ ، من خلال التحريف، فلم يهملوا تحريكا ولا تسكينا، ولا تفخيما ولا ترقيقا وغير ذلك مما لم يحدث للكتب الأخرى كالتوراة والإنجيل .

هـ– ومنها اتصال سند كتاب الله سبحانه، فكل قارئ يحفظه ويتقنه بحروفه وألفاظه وطريقة أدائه عمن فوقه فقد سمعه الصحابة رضوان الله عليهم مضبوطا هذه الصورة من الرسول ﷺ ، وبلغوه كذلك إلى من بعدهم حتى وصل إلينا فتواتر بنقل ما لا يحصى من القراء الثقات، فاجتمع نقله وحفظه

في الصدور والسطور، فكان ذلك تصديقا لرعد الله سبحانه وتعالى بحفظه، بخلاف غيره من الكتب الأخرى في نقلها، ولم تحفظ في الصدور، واقتصرت على نقل السطور مما كان سببا الست سنة في التحريف والتبديل .

ثانيا : فوائد تعدد القراءات بالنسبة للعلوم الشرعية المختلفة :

أ -تأثير القراءات في علوم الفقه وأحكام الشريعة، فقد كانت القراءات محالا خصب لآراء فقهية تدعم الشرع الإسلامي وتكسبه مرونة وطواعية المواجهة ما جد من مشكلات الحياة والناس، ومن مظاهر ذلك : –

- أن تكون القراءة الأخرى دليل مؤيد لقول أجمع عليه الفقهاء ومن ذلك قوله تعالى في المواريث " وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة، وله أخ أو أخت، فلكل واحد منهما السدس [١]، فقد أجمع العلماء هنا على أن المراد بالأخوة في هذا الحكم هم الأخوة لأم دون الأشقاء، ودون الأخوة لأب، وجاءت قراءة سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه لهذه الآية مؤيدة لإجماعهم، فقد قرأ : " وله أخ أو أخت من أم" بزيادة " من أم "[٢]
- ومن ذلك أن تكون القراءة الأخرى مرجحة لحكم اختلف فيه الفقهاء، ومثاله قوله تعالى في كفارة الميمين : " فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة "[٣] فقد اختلف الفقهاء في تقييد الرقبة، فمنهم من قال هي مطلقه وتبريء

---

[١] سورة النساء الآية :١٢

[٢] انظر ابن كثير ١٦٠/١

[٣] سورة المائدة الآية :٨٩

الذمة بأي رقبة حتى الكافرة، ومنهم من قال لابد من الرقبة المؤمنة ولا تجزيء الكافرة، واستدل على ذلك بالقراءة التي فيها : " أو تحرير رقبة مؤمنة ، وهو مذهب الشافعي رحمه الله [١]

ومن ذلك أيضا قراءة قوله تعالى : " أو لمستم النساء [٢] فهى مرجحة لقول من يقول بانتقاض الوضوء بلمس النساء باليد بدون حائل، لأن المعني هنا هو مجرد المس باليد للنساء، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : " فلمسوه بأيديهم [٣] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " لمن أقام عليه حد الزنا : " لعلك قبلت أو لمست "، وقول الشاعر : وألمست كفى كفه طلب الغنا[٤] كل ذلك يؤكد معنى هذه القراءة، والقراءة الأخرى:" لامستم " ومعناها الجماع، فلا ينقض الوضوء إلا بالجماع

فقط ، ولها أدلة كثيرة أيضا من القرآن كقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها "[٥] وغيرها من الآيات، وجمع بعض الفقهاء بين القراءتين بقولهم بانتقاض الوضوء بمجرد اللمس إذا كان بشهوة ولاينتقض إذا خلانيها، ولعل هذا أرجح الأقوال في المسألة، وإن توضأ الإنسان باللمس مطلقا حتى ولو لم يجد شهوة خروجا من خلاف العلماء، واحتياطا للعبادة كان حسنا، والله أعلم .

---

[١] انظر النشر ٢٦/١
[٢] سورة المائدة الآية :٦
[٣] سورة الانعام الآية :٧
[٤] انظر النشر ٢٠٩/١
[٥] الاحزاب الآية ٤٩

– ومن ذلك أن تكون القراءتان سببا للجمع بين حكمين في مسالة واحدة، ومثال ذلك قوله تعالى : " فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن "[1]، فقد قريء بتشديد الطاء، " يطهرن "، والمعنى : يغتسلن من الطهر، وبناء عليه فلا يجوز قربان المرأة حتى تغتسل من الطهر، وقريء " يظهرن " بتسكين الطاء، والمعجن حتى يرتفع الحيض، وبناء عليه يجوز جماعها بعد ارتفاع الحيض وقبل اغتسالها، والراجح عدم جواز ذلك إلا بعد ارتفاع الحيض، وبعد الغسل أيضا. جمعا بين القراءتين .

– ومن ذلك أن يكون أختلاف القراءة دلالة على حكمين مختلفين من الآية، ومثاله قوله تعالى في آية الوضوء : " يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين"[2]، فقد قريء "أرجلكم " مرة بالنصب عطفا على أيديكم، فيكون حكم الرجل الغسل مثل الأيديه وقرأت مرة بالجر عطفا على " برءوسكم "، فيكون حكمها المسح كالرأس، وقد جمع العلماء بين القراءتين بأن الغسل هو حكمها الأصلي، وأن المسح جائز إذا لبس الإنسان الخف، وأما من قال بجواز الأمرين كالطبرى، أو أن فرضها الأصلي المسح كالشيعة فإنه قول مردود بالأدلة وقال المتعددة على غسل الرجل .

ب – ولتعدد القراءات كذلك فوائد مهمة لعلم التفسير، فقد تكون القراءة

مفسرة الأخرى، ومن مظاهر ذلك : –

[1] سورة البقرة الآية ٢٢٣
[2] سورة المائدة الآية ٦

– أن تكون الآية بحملة فتأتي القراءة الأخرى لتكشف هذا الإجمال وتبينه، ومثاله قوله تعالى :

" حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" [1] فقد اختلف المفسرون في تعيين الصلاة الوسطى على أقوال متعددة شما بسبب الإجمال، وظهر بأن الراجح من هذه الأقوال أنها صلاة العصر"

ومن المرجحات قراءة عائشة رضي الله عنها للآية : " والصلاة الوسطي صلاة العصر "

– ومن ذلك كون الآية تأتي مطلقة، كقوله تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما "[2] فلفظ الأيدى مطلق متدل على اليمين والشمال، وجاءت قراءة ابن مسعود رضي الله عنه للآية : " فاقطعوا أيمانهما "، فحددت أنها اليمن . . وقد تكون القراءة مبينة لحكم خلاف ظاهر الآية، ومثاله قوله تعالى : " إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله "[3] والإسراع لا يجوز للصلاة، والسنة أن يأتي الإنسان إلى الصلاة بوقار وسكينة، وقد بنت ذلك القراءة الأخرى الآية : " فامضوا إلى ذكر"

– وقد تبين القراءة الأخرى لفظ مبهم في الآية، ومثاله قوله تعالى : " وتكون الجبال كالعهن المنفوش "، و" العهن " لفظ مبهم فسر بالقراءة

---

[1] سورة البقرة الآية :٢٣٨

[2] المائدة الاية ٣٩

[3] سورة الجمعة الآية:٣٨

الأخرى : " وتكون الجبال كالصوف المنفوش [١]

ج – فوائد تعددها بالنسبة لعلم العقيدة ، فقد تكون القراءة تأييدا لقضية من قضايا علم التوحيد و العقيدة فتأيد قول أهل السنة والجماعة، وتدفع ظنون أهل الزيغ والباطل. ومثاله قوله تعالى : " وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا "[٢] فقد قريء " ملكا " بإسكان اللام بمعنى الملك، وقريء بكسر اللام بمعنى الملك، فتدل هذه القراءة على أن المؤمنين يرون الله في الآخرة، كما حددت الأدلة المتعددة بذلك، فأقر بذلك أهل السنة، وزاغ عنه المعتزلة وغيرهم من أهل الباطل .

ثالثا : فوائد تعددها الإعجاز القرآن وإثبات الرسالة : –

– فتنوع القراءات من أوضح البراهين على الإعجاز القرآن وبلاغته كلام الله سبحانه، إذ كل قراءة بمنزلة آية مستقلة، ولو جعلت كل قراءة آية في القرآن لأدى ذلك إلى التطويل جدا، كما أنه لا توجد ألفاظ تجمع كل كلمات الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى : " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا [٣]، ولذلك فكل لفظة من ألفاظ القرآن تحمل سرا من أسرار الله سبحانه لم يظهر منه للبشر إلا ما تقبله عقولهم، فكانت بذلك ألفاظ القرآن في نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار والإيجاز .

وفي تنوع القراءات كذلك برهان عظيم على إعجاز القرآن، فمع كثرة قراءاته وتنوعها من ناحية اللفظ والأداء والمعنى، لم يتطرق إليه تضاد ولا تخالف، بل كله

---

[١] انظر الاتقان ٢٦٢/١ ، ومناهل العرفان

[٢] سورة الانسان الآية :٢٠

[٣] سورة الكهف الآية :١٠٩

يصدق بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذلك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على أنه تنزيل من حكيم حميد[١].

– ومن ذلك الدلالة على إعجاز القرآن من الناحية الصوتية، فقد تعددت مناحي التأليف الصوتي للقرآن على لهجات سبعة تكافئ الفروع اللسانية للعرب، فيستطيع كل عربي أن يقرأه على لحنه وصوته الفطري التي نشأ عليه، ومع ذلك بقي إعجازه يتحدى كل العرب .

رابعا : فوائد تعدد القراءات بالنسبة للغة العربية وعلومها : –

وكان لتعدد القراءات كذلك أثر كبير في ثراء علوم العربية النحوية والتصريفية، والبلاغية وتبارى العلماء يأخذون منها ما يؤيد ويؤسس قواعدهم ومثال ذلك قوله تعالى : " واتقوا الله التي تساءلون به والأرحام "[٢]، فقد استند النحويون على قراءة جر " الأرحام" بأنه يجوز العطف على المجرور دون إعادة حرف الجر .

خامسا : فوائد عامة لتعدد القراءات :

بالإضافة إلى استفادة علوم العربية والشرعية من القراءات، فقد كان لها أثر كبير في وحدة العرب وجمعهم، بانتقاء أفضل لهجات العرب والتوحيد بينهافي قراءة القرآن ، واجتماع كل ذلك في لغة قريش ، فقد تألفت من معظم هذه اللهجات ،

---

[١] انظر النشر في القراءات العشر ٥٢/١

[٢] سورة النساء الاية :١

وانتقت أفضلها بحكم موقع قريش وقيامها علي خدمة الحرم واجتماع العرب في أسواقهم وحجهم وسفرهم لديهم ، فصارت لها الزعامة وللغتها الإمامة [1]

وللقراءات كذلك أثر عظيم في كشف تاريخ اللهجات العربية وبيان أسسها ، والفرق بينهما ، ولولا ذلك لندثر هذا التاريخ وأصبح مجهولا.

[1] انظر مناهل العرفان ١٤٦/١

الفصل الثاني

نشأة القراءات وأقسامها

مرت القراءات في نشأها بمرحلتين شأن غيرها من العلوم الإسلامية : –

- مرحلة نقل القراءات بالرواية : –

كان الاعتماد في نقل قراءات القرآن على الرواية وحفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة لهذه الأمة، فأناجيلها في صدورها، وكما جاء في الحديث من قول الله سبحانه : " ومترل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان .. فقد تلقى النبي صلى الله عليه وسلم القرآن بقراءاته السبعة من جبريل عليه السلام كما قال تعالى : " **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** "[1]. وتلقى الصحابة ﷺ منه القرآن حرفا حرفا، لم يهملوا منه حركة ولا سكونا، ومنهم من أخذه بحرف ومنهم قرأه عنه بحرفين، ومنهم من زاد عن ذلك، ثم تفرق الصحابة رضي الله عنهم في الأقطار مع الفتوح الإسلامية، فأخذ عنهم التابعون هذه القراءات..

وكان تفرق الصحابة في البلاد المفتوحة سبب لكثرة الخلاف في القراءات لأن بعضهم لم يقف على ما عند الآخر من هذه الأحرف، ولم يسمعها من النبي ﷺ ، فأدى ذلك إلى المماراة والاختلاف عند التابعين ، و كان ذلك دافعا لجمع عثمان ﷺ الأمة على مصحفه الإمام ، و كان رسمه خاليا من النقط والإعجام ليشمل

[1] سورة القيامة الاية ١٨،١٩

ما تواتر من قراءات في العرضة الأخيرة، وحرق عثمان رضي الله عنه ما سواه من المصاحف فكان رسم هذا المصحف معيارا للقراءة الصحيحة. .. ثم تعدد بعد الصحابة والتابعين القراء وكثروا، وتفرقوا في البلاد، وعرفت طبقاتهم، وصفاتهم، ولما كثر الخلاف بينهم، وقل الضبط، واتسع الحرق، فصار أهل البدع يقرءون بما لا يصح وفاقا لما هبهم، فكان ذلك سببا لقيام جهابذة الأمة بحصر المتواتر من القراءات، فجمعوا الحروف، وعزوا الوجوه والروايات إلى أصحابها، وميزوا بين المشهور والشاذ[1] ووضعوا القواعد والأسس التي تضبط القراءة الصحيحة .

٢- مرحلة التدوين : -

وكان أول من ألف في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين، فجمع في كتابه خمسا وعشرين قراءة ثم أحمد بن جبير الكوفي المتوفي سنة ثمان وخمسين ومائتين، وبعده إسماعيل بن إسحاق القاضي المتوفى سنة اثنين وثمانين ومائتين، وجمع قراءة عشرين قارئا، ثم الإمام أبي جعفر الطبرى المتوفي سنة عشر وثلاثمائة، فجمع خمسا وعشرين قراءة ، ثم جاء أبو بكر أحمد بن مجاهد فاقتصر على هؤلاء القراء السبعة المشهورين، الذين اقتصرت القراءة عليهم إلى الآن، وأجمعت الأمة على تواتر قراءهم .

- ثم تتابع التأليف في القراءات بعد ذلك وتكاثر ما بين المنظوم والمنثور، والمطول والمختصر، كما تنوعت اتجاهات التأليف، فهناك

[1] انظر النشر ٩/١

مؤلفات في القراءات وأسانيدها وأصولها، ومؤلفات في طبقات القراء، ومؤلفات في توجيه القراءات والاحتجاج لها وغير ذلك .

ومن أهم المؤلفات المطبوعة في القراءات الآن : -

- الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب .

- إبراز المعاني من حرز الأماني شرح الشاطبية .

-إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطى .

- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني .

-الحجة في القراءات السبع لابن خالوية .

-النشر في القراءات العشر لابن الجزرى .

-كتابة السبعة لابن مجاهد . تحقيق كشوقى ضيف .

-المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات لابن جني .

-غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري[1].

[1] انظر مدخل لعلم القراءات

أقسام القراءات : –

أسفر التأليف في القراءات والقراء عن جهود العلماء في ضبطها، وتميز المقبول منها من المردود، وبيان الشاذ والموضوع، ووضع القواعد والأسس التي تكون أساسا لقبول القراءة أو ردها .

ضوابط قبول القراءة: –

جعل العلماء للقراءة المقبولة ثلاثة شروط : –

١– موافقة اللغة العربية ولو بوجه.

٢ – موافقة رسم المصحف العثمان .

٣ – صحة السند وتواتره .

وفي ذلك يقول ابن الجزري : " كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها، شهر القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل انكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين [١].

شرح الشروط السابقة : – ثم شرح ابن الجزري الشروط السابقة فبين بالنسبة للشرط الأول بأن توافق القراءة وجها من وجوه النحو، ولا يشترط أن يكون هو الأفصح أو الأصح، مجمعا عليه بين النحاة أو مختلف فيه، فلا ينبغي أن ترد

[١] النشر ٩/١

القراءة إذا ثبت تواترها سندا من أجل أنها تخالف ما أجمع عليه النحاة، لأن القراءة الثابتة حجة على قواعد النحو ودليل على صحتها، لا أن تكون قواعد النحو هي الحجة على القراءة . وكم من قراءة أنكرها بعض النحاة أو كثير منهم، ولم يعتد بإنكارهم، فالقراءة سنة متبعة إذا ثبتت لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة، ومن القراءات التي أنكرها بعض النحاة وهي حجة عليهم : جواز العطف على المجرور بدون إعادة حرف الجر كما جاء في قوله تعالى : " تساءلون به والأرحام "[1] ففي الآية قراءتان :

– قرأ جمهور القراء بنصب " الأرحام ، عطفا على لفظ الجلالة ، والمعنى اتقوا الله واتقوا الأرحام أن تقطعوها .

– وقرأ حمزة بجر " الأرحام " ، إما عطفا على الضمير المحرور في " به والأرحام " ، أو بتقدير حف حرف الجر، والتقدير تساءلون به وبالأرحام .

– وخطأ الطبري وابن عطية والزمخشري قراءة حمزة لأمور : –

– أنه لم يسمع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة – حرف الجر ، وما جاء خلاف ذلك فهو من ضرورة الشعر ، ولا يجوز في الكلام الفصيح وهو مذهب البصريين .

– ولأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان ، يحل كل منهما محل صاحبه ،

[1] سورة النساء الآية :١

فيصح أن نقول : (مررت بك وبزيد) ، (ومررت بزيد وبك) ، أما مع حذف الجر فلا يجوز : (مررت بزيد وبك).

والصواب أن قراءة الجر صحيحة من ناحية اللغة وقياسها ، فقد ورد في أشعار العرب كثير من ذلك، يخرجه عن كونه ضرورة شعر ، فقد أورد أبو حيان والقرطبي رحمهم الله وغيرهما كثير من الشواهد منها :

إذا أوقدوا نارا لحرب عدوهم فقد خاب من يصلي ما وسعيرها أي وبسعيرها .

وقال العباس ابن مرداس : أكر على الكتيبة لا أبالي احتفى كان فيها أم سواها أي أم في سواها . وقال الآخر :فاليوم قد بت تجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب .

وأما من ناحية القياس: فإنه كما يجوز أن يبدل منه ويؤكد من غير إعادة جر، فكذلك يجوز أن يعطف عليه من غير إعادة جر، فيجوز قولنا: "مررت به نفسه" .

وأما من ناحية النقل: فهي قراءة صحيحة ثابتة عن الصحابة ﷺ والتابعين ، سمعوها من رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فلا يجوز ردها . قال أبو حيان : " وأما قول ابن عطية : ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان ، فهذه جسارة قبيحة منهم لا تليق بحاله ، ولا بطهارة لسانه ، إذ عمد إلى قراءة متواترة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قرأ بها سلف الأمة ، واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من في رسول الله صلي الله عليه وسلم بغير واسطة ..... عمد إلى ردها بشيء خطر له في ذهنه وجسارته هذه لا تليق إلا بالمعتزلة ..... .

وقال القرطبي : " ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين ، لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي صلي الله عليه وسلم تواترا ، فمن رد ذلك فقد رد على النبي صلي الله عليه وسلم واستقبح ما قرأ به . وهذا مقام محظور لا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو ، فإن العربية تتلقى من النبي صلي الله عليه وسلم ، ولا يشك أحد في فصاحته ."

ومن القراءات التي ردها البعض بحجة مخالفة اللغة العربية إسكان الراء في قوله تعالى : " فتوبوا إلى بارئكم " ، وقوله تعالى : " إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ".

وحجة من منع التسكين من النحاة في " بارئكم، يأمركم " أنه لا يجوز من أجل أنه علامة للإعراب في آخر الكلمة . وقد جوز ذلك غيرهم واستشهدوا بالشعر، ومنه قول امرؤ القيس: – بى انات

اور انسان اليوم أشرب غير مستحق إثما من الله ولا داغل[١]

ومن ذلك من أنكر نيابة الجر والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول في قوله تعالى : " ليجزي قوما بما كانوا يكسبون ".

"ليجزى" قرىء بالنون، وقرىء بالياء، والفعل مبني للمعلوم. فيهما، وقرىء بالياء مع ضمها وفتح الزاي وألف بعدها على البناء للمجهول، ويكون نائب الفاعل الحر والحرور (بما) وهي حجة لمن جوز أن الجار نائب الفاعل مع وجود المفعول في الجملة[٢].

[١] انظر القرطبي ٣٤٣/١
[٢] انظر النشر ٣٧٣/٢

وفي " زين قتل أولادهم شر كاؤهم "، قرىء " زين " بفتح الزاي، مبني للمعلوم، والفاعل (شر كاؤهم)، وقرىء بضم الزاي بالبناء للمجهول، وضم " قتل " نائب فاعل، وأولادهم بالنصب مفعول به، (وشركائهم) مضاف إلى المصدر على إضافة المصدر لفاعله، فيفصل بذلك. المفعول بين المضاف والمضاف إليه وهو لا يجوز عند النحاة إلا الظرف .وهذا مردود بثبوت هذه القراءة ولها شواهد في العربية متعددة؟[1].

٢- وأما موافقة خط المصحف العثماني، فهو الشرط الثاني لقبول القراءة لأن الصحابة ﷺ أجتهدوا في رسم المصحف، وجعلوه خاليا من النقط والتشكيل ليستوعب ما تواتر من القراءات، ويمكن قراءته بكل قراءة، وهذا من ثاقب نظرهم وحسن اجتهادهم، وموافقة القراءة لرسم المصحف تقيد بأمور:

- أن توافقه تحقيقا، أي توافق الرسم موافقة صريحة، كما في قراءة :" ملك يوم الدين ، فإنها مكتوبة بحذف الألف، وكذلك قوله تعالى : " تعلمون ويعلمون " بالياء والتاء، وقوله " يغفر لكم "، " نغفر لكم " بالياء والنون، فكل ذلك موافقة صريحة للرسم، لأنه خالي من النقط فتصح القراءتان .

- وكذلك يجوز القراءة إذا وافقت الرسم ولو تقديرا، كما جاء في قراءة "مالك يوم الدين "، بالألف لجواز حرف الألف في الخط اختصارا . والموافقة المحتملة بين الرسم واللفظ يندرج تحتها كذلك اختلاف القراءات من ناحية الحركات والسكنات مثل : " القدس "، " القدس " أو م ن ناحية التشديد والتخفيف مثل : " ينشر كم "،

[1] انظر زاد المسير ٨٩/٣ ، المستنير ٢١١/١

واختلاف النقط وهو ما يسمى الاعجام مثل : " ننشرها وننشزها "، وكذلك الاختلاف في كيفية لفظ القراءة كالمدغم والمسهل، والمرقق والمفخم ... الخ .فإن تحرد المصاحف العثمانية عن التشكيل والنقط جعلها محتملة لكل هذه الوجوه .

– وتعتد بالقراءة ولو وافقت أحد المصاحف في الرسم فلا يشترط موافقة جميع نسخ المصاحف، ومثاله قراءة ابن عامر لقوله تعالى : " قالوا اتخذ الله ولدا [١]، فهي بغير "و"، لأن ذلك ثابت في المصحف الشامي فقط. وفي غيره بالواو . ومثل قراءة ابن كثير لقوله تعالى : "جنات تجرى- من تحتها الانهار"[٢] في سورة براءة بإثبات " من " فإما ثابتة في المصحف المكي فقط . وعند غيره من القراء بغير " من " . وكذلك قوله تعالى في سورة الحديد : " فإن الله هو الغني الحميد [٣]، فلفظ " هو " ثابت في بعض نسخ المصحف دون بعض، وكذلك " الواو "، قبل قوله تعالى : " سارعوا إلى مغفرة من ربكم ".

– ولا يعد مخالفة رسم المصحف في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف من قبل القراءة. المردودة، ومثاله إثبات " ياء " في لفظ " تسألن " في سورة الكهف، وقراءة " أكون من الصالحين " في سورة المنافقين، وذلك لأن هذا التغير لا يترتب عليه اختلاف المعني، بخلاف زيادة كلمة أو نقصاها[٤].

والشرط الثالث هو صحة السند، ونعني به أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله من أدلة السند إلى آخره، وتكون القراءة مع ذلك مشهورة عند أئمة السلف،

---

[١] سورة البقرة الآية :١١٦

[٢] سورة التوبة الآية :١٠٠

[٣] سورة الحديد الآية :٢٤

[٤] انظر الاتقان ٢١٢/١ ، مناهل العرفان ٤٢٠/١

غير معدودة عندهم من الغلط، أو مما شذ بها بعضهم .وفهم البعض من هذا الضابط أن القراءة المقبولة يكفي فيها صحة السند ولا يشترط التواتر، والصواب أن التواتر شرط لقبول القراءة، وهذا ما ذهب إليه الأئمة الأربعة، ولم يخالف منهم أحد في ذلك، صرح به أئمة لا يحصون كابن عبد البر، وابن تيمية، والنووي، والسبكى، والزركشى وغيرهم، ومما جعل ابن الجزري وغيره يكتفون لقبول القراءة بصحة السند ، بأن هذا يعد ضابطا لقبول القراءة وليس تعريفا، ويفتقر في الضابط ما لا يجوز في التعريف، ولأن ذلك يسهل على الطالب التميز بين القراءات المقبولة من غيرها، كما أن وجود

الصحف المكتوب متواتر ومجمع عليه بين الأمة منذ عهد الصحابة رضي الله تهم إلى الآن، يعد ذلك مع صحة السند قرينة على تواتر القراءة، فخير الآحاد يفيد العلم إذا احتفت به القرائن كما هو معلوم"[1]. وبناء على هذه الضوابط قسم العلماء **القراءات إلى أنواع :**

١- **القراءة المتواترة :** وهي ما نقلها جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، إلى آخر السند، وهي ما انطبق عليها الشروط الثلاثة السابقة، ومما ثبت كذلك من القراءات، كالقراءات السبع المشهور عن الأئمة، وكذلك الثلاثة المتممة للعشرة فهذه القراءة هي التي يقرأ بها في الصلاة ويكفر من أنكرها .

٢ – القراءة المشهورة : وهي ما صح سندها، ولكن لم تبلغ درجة المتواترة، ووافقت العربية ورسم المصحف، واشتهرت عند القراء، ومثالها ما اختلفت الطرق

[1] انظر المراجع السابقة

في نقله عن السبعة، فرواه عنهم بعض الرواة دون بعض، قال السيوطي : ومن أشهر ما صنف في ذلك التيسير للوافي، وقصيدة الشاطبى، وتقريب النشر لابن الجزرى . وهذه القراءة يقرأ بها كالقراءة السابقة سواء .

٣- قراءة الآحاد:

وهي ما صح سندها، وصحت في العربية وخالفت رسم المصحف، ولم تشتهر، ومثالها قراءة قوله تعالى في سورة الرحمن : " متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان"[١]. وقراءة أبي هريرة رضي الله عنه قوله تعالى : " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرت أعين "[٢]، وقراءة ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم"[٣]. وهذه القراءات إما أنها ثابتة سمعها الصحابة من النبي صلي الله عليه وسلم ثم نسخت ، أو تكون من قبيل تفسيرهم للآيات ، فإنهم كانوا يكتبون معنى اللفظ بجواره ، لأهم حافظين للقرآن آمنين من اختلاطه بغيره .

وحكم هذه القراءة تقبل ولا يقرأ بها لعلتين : -

الأولى : أنما خالفت إجماع الصحابة رضي الله عنهم، بمخالفتها لرسم المصحف العثماني .

الثانية : إنما ثبتت بأخبار الآحاد وليست متواترة، ولا يثبت قرآن بخير الواحد. ولا يكفر من جحدها ولكن بئس ما صنع. وأما حكم القراءة بما في الصلاة فقولان : -

---

[١] سورة الرحمن الآية ٧٦
[٢] سورة السجدة الآية ١٧
[٣] سورة التوبة الآية ١٢٨

الأول : – جواز القراءة بها، وهي أحد القولين للشافعي وأبي حنيفة، ورواية عن مالك وأحمد رحمهما الله والدليل على ذلك:

أن الصحابة ﷺ والتابعين قرءوا بهذه الحروف وثبتت عنهم .

– لو قلنا بعدم جواز القراءة بما لكان الصحابة قد ارتكبوا محرما بذلك، فيسقط الاحتجاج بأحاديثهم لارتكابهم المحرم وهم نقلة الشريعة فيسقط بذلك سند الشرع.

والثاني : لا يجوز القراءة بما وعليه أكثر العلماء، وحجتهم أنها لم تثبت متواترة، فليست قرآنا، ولو ثبت بعضها بالنقل الصحيح. فتعد منسوخة مخالفتها لرسم المصحف، وهو إجماع للصحابة والتابعين، كما أنها ليست من الأحرف السبعة التي جاءت متواترة[١]، وهذا هو الراجح ، وفي حكم العمل بقراءة الآحاد قولان :

الأول : عند الشافعي رحمه الله وبعض أصحابه أنه لا يجوز العمل بها، وحجتهم أنما نقلت على كونها قرآن ولم تثبت فلا يجوز العمل بها.

الثاني : يجوز الاحتجاج والعمل بها، وهذا ما صححه السبكي في جمع الجوامع

فقد احتج بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه على قطع اليمين للسارق " فاقطعوا أيمانهما " وبذلك يقول أبو حنيفة رحمه الله، وكذلك احتجوا على التتابع في صوم كفارة اليمين بقراءة ابن مسعود : "صيام ثلاثة أيام متتبعات ذلك كفارة أيمانكم"[٢].

[١] انظر النشر ١٥/١
[٢] انظر الاتقان ٢٢٨/١

٤- القراءة الشاذة :

وهي ما لم يصح سندها، ومثاله : قراءة "ملك يوم الدين "، بصيغة الماضي، ونصب "يوم "، وقراءة " إياك يعبد ببنائه للمجهول"[١].

والقراءة الشاذة أنواع: -

الأول : ما نقله ثقة، ولا وجه له في العربية، ولا يصدر هذا إلا على وجه السهو والغلط، ويعرفه الأئمة المحققون، وهو قليل جدا – ومنه رواية خارجة عن نافع : " معائش" في قوله : وجعلنا لكم

فيها معايش "[٢]، وقف حمزة على نحو : " أسمائهم و وأوليك "، " وشركاوهم، وأحباوه "، " وبداكم، وأخاه " بالحرف في ذلك كله فيما يسمونه التخفيف الرسمي، ولا يجوز في وجه الوجوه العربية، وكل هذا غير ثابت عن حمزة كما ذكر ابن الجزرى.

الثاني : ما نقله غير ثقة، وهو كثير موجود في كتب الشواذ، وفيه قراءة : "ننحيك بيدنك لتكون لمن خلفك آية "، وقرىء " ان ننجيك " وفتح اللام في "خلفك "، ومنه ما نقل عن أبي حنيفة رحمه الله ولم يثبت برفع لفظ الجلالة : " إنما يخشى الله من عباده العلماء "[٣].

الثالث : ما وافق العربية ورسم المصحف، ولكن لم ينقل البتة، وهذا

---

[١] انظر الاتقان ٢١٦/١

[٢] سورة الاعراف

[٣] سورة فاطر ، انظر النشر ١٨/١

رده أحق، ومنعه أشد، ومرتكبه مرتكب العظيم من الكبائر، وقد جوز ذلك أبو بكر بن مقسم البغدادي، وقد عد العلماء ذلك ابتداع وضلالة عن الدين، وأجمع الفقهاء على منعه، وذلك لأن

القراءة سنة متبعة، وبناء على ذلك رفض العلماء القياس المطلق ما في القراءات وهو الذي ليس له أصل يرجع إليه، فقد ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم قولهم : " أن القراءة سنة يأخرها الآخر عن الأول، فاقرءوا كما علمتم "، ولذلك كان كثير من الأئمة كنافع وغيره يقول : " لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما سمعت، لقرأت حرف كذا كذا، وحرف كذا كذا[١].

ويجوز الاستشهاد بالقراءات الشاذة في قضايا اللغة والنحو، وكتب النحو مليئة بالأدلة على ذلك، فالقراءة الشاذة أوثق من أبيات الشعر سواء المجهولة أو المعلوم قائلها، لأن رواة القراءات أكثر ثقة من غيرهم .وهذا بالنسبة للقراءة الشاذة من ناحية السند، أو من ناحية المخالفة لرسم المصحف، وأما الشاذة من ناحية مخالفة المشهور من قواعد العربية، فقد توقف في الاستشهاد بما بعض النحاة، بل ترددوا في قبول القراءة المتواترة المخالفة للقواعد، وقد علمنا رفض العلماء لذلك، فإن القراءة هي الحكم على قواعدهم، وليس العكس[٢].

[١] انظر النشر ١٨/١
[٢] ان ظر مناهل العرفان ٤٢٢/١

٥- القراءة المدرجة :

وهي ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه : أو له أخ أو أخت من أم "[١] ، وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما : " ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج "[٢]، وقراءة ابن الزبير : " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم "[٣]، والسبب في ضم التفسير للآية أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا متحققين حافظين للقرآن، فهم آمنون من التباسه بالقراءة، ربما كان بعضهم يكتب التفسير مع الآية، وأما من يقول بأن الصحابة كان يجيزون القراءة بالمعنى، فهذا كذب وافتراء[٤]، وهذا النوع من القراءات هو الذي استغله المستشرقون في الطعن على القرآن والتشكيك في كونه محفوظا من التغيير بالزيادة والنقصان.

وقد شاع إطلاق اسم الشاذ على كل قراءة لم تستوف الشروط الثلاثة السابقة، فمتى فقدت القراءة شرطا منهم سميت شاذة، وبذلك تدخل الأنواع كلها تحت هذا المسمى ما عدا المتواترة والمشهورة والقراءات الصحيحة كانت كثيرة جدا قبل اقتصار ابن مجاهد على السبعة، ولكن الآن صار المجمع عليه القراءات العشر، وما عداها يسمى شاذا.

---

[١] سورة النساء الآية :١٢
[٢] سورة البقرة الآية :١٩٨
[٣] سورة آل عمران الآية :١٠٤
[٤] انظر الاتقان ٢١٦/١

الفصل الثالث

الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات السبع

" نزول القرآن على سبعة أحرف ": -

و نزول القرآن على سبعة أحرف من مظاهر رحمة هذا الدين الخالد ومن دلائل إعجازه، فقد كان العرب أصحاب لغة القرآن قبائل متعددة ولكل واحدة لهجة تخالف الأخرى في أصواتها وحروفها وطريقة النطق التي تنبع من فطرتهما وبيئتها، فتزل القرآن على سبعة أوجه في أدائه والنطق بألفاظه بما يوافق أفصح نجات العرب تيسرا لهم، ومنعا لمشقة فراق كل قبيلة للهجتها، وقد تواتر حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، وتعددت طرقه ورواياته عن جمع غفير من الصحابة ﷺ .

<u>أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف:</u>

١ - ما رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أقرأئن جبريل عليه السلام على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده فيزيد لى، حتى انتهى إلى سبعة أحرف ". قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر التي يكون واحدا، لا يختلف في حلال ولا حرام[١].

٢ - وروى أيضا واللفظ لمسلم عن عبد الرحمن بن عبد القارئ قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة

[١] المراجع السابقة

الفرقان على غير ما أقرؤها .وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها. فكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم البته بردائه، فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ! أين سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها .فقال رسول الله عليه وسلم : أرسله ... اقرأ .فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أهكذا أنزلت "، ثم قال لي : " أقرأ "، فقرت . فقال : " هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه[١].

٣ – وروى مسلم كذلك اختلاف أبي بن كعب رضى الله عنه مع غيره في القراءة، واحتكامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتصحيحه لقراءة كل واحد.

٤ – وروى الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل، فقال : يا جبريل إن بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال : يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف[٢]

٥ – ما. رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال وهو على المنبر : أذكر أن رجلا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف " قال : فقاموا حتي لم يحصوا فشهدوا أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قاله[٣]

---

[١] المراجع السابقة
[٢] تحفة الأحوذي شرح الترمذي ٢١٢/٨
[٣] النشر ٢٠١/١

ما يؤخذ من تلك الأحاديث : -

١-أن الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف على هذه الأمة، لأنما أمة أمية، وهم مختلفون في لهجاتهم، ومنهم من لا يستطيع أن يتحول عنها إلا بصعوبة بالغة كالمرأة والشيخ والصبي، ودليل ذلك من الحديث الثالث، ومن الروايات الأخرى التي قال فيها صلى الله على وسلم : " فرددت إليه أن هون على أمتي"، وقوله : " إن أمتي لا تطيق ذلك وغيرها من الروايات .فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرئ كل أمة بلغتهم، وما جرت عليه عاد قم فالهزلي يقرأ : " عني حين " يريد (حتى) هكذا يلفظها ويستعملها. الأسدي يقرأ " يعلمون ويعلم "، " وتسود وجوه، وألم أعهد إليكم."، والتميمى يهمزه والقرشي لا يهمز.... ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا و كهلا لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل اللسان وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات، ومتصرفا في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين [١]

٢- أن عدد الحروف المنزل عليها القرآن سبعة لا غير، وليست السبعة مجازا عن التوسعة والتعدد بدون حصر كما قيل، بل المقصود حقيقة العدد المعروف بين الستة والثمانية ، والاحاديث تدل علي ذلك بمنطوقها ومفهومها ، ومن ذلك الحديث الأول وفيه : " فلم أزل أستزيده .... حتى انتهى إلى سبعة "، ويدل لذلك أيضا ما جاء عن أبي رضي الله عنه عند مسلم من تعدد المرات التي عاد فيها جبريل عليه

[١]) انظر النشر ٢٣/١

السلام بالقراءات من عند الله سبحانه، وفي كل مرة يقول له صلى الله عليه وسلم : " أسأل الله معافاته، وإن أمتي لا تطيق ذلك "[١].

٣-أن الوجوه السبعة من القراءات كلها جائزة وصحيحة، وأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يقرءون على وجوه مختلفة، والنبي صلى الله عليه وسلم أقر الجميع على قراءته، ويدل على ذلك الحديث الثاني من اختلاف عمر وهشام بن حكيم في القراءة، وكذلك أبي مع غيره من الصحابة رضي الله عنهم، وإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لهم بقوله :" هكذا أنزلت "، وفي الروايات الأخرى : " أصبت "، وقوله : " فأيما حرف فرأوا عليه فقد أصابوا " ، وفي رواية : " كلاكما محسن " وغيرها [٢]

٤-أن هذه الأحرف كلها منزلة من عند الله سبحانه، لا مدخل للبشر فيها، مأخوذة بالتلقي عن النبي ﷺ ، عن جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه، يدل على ذلك الأحاديث السابقة، ومنها الحديث الثاني في قوله : " هكذا أنزلت "، وقولهم : " أقرأنيها رسول الله ﷺ ".

٥-أن المراد بالأحرف السبعة وجوه مختلفة في النطق بالألفاظ دون الاختلاف في المعين، والدليل على ذلك ما جاء في الحديث الثانى مى قول عمر رضي الله عنه : "إذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنها رسول الله ﷺ ".

٦- حرص الصحابة رضي الله عنهم على حفظ القرآن من التغيير ، وتحمسهم في الدفاع عنه من التحريف حتى ولو كان في النطق وطريقة الأداء[٣]

---

[١]) مناهل العرفان ١٣٤/١
[٢]) انظر النشر ٥١/١
[٣]) انظر المناهل ١٥٠/١

معنى الحرف الوارد في الأحاديث:-

استخدم اللغويون " الحرف " لمعان متعددة منها :

١-حرف كل شئ طرفه و حافته وحده، وناحيته، والقطعة منه، وهذا أصل معناه في اللغة، ثم توسعوا في معناه بإطلاقه على معان أخرى محازية مبنية على هذا المعنى من ذلك .

٢- الحرف : هو واحد من حروف التهجي، لأن كل صوت من الكلمة يمثل جانبا منها.

٣-استخدمه النحاة بمعنى الرابطة بين الاسم والفعل مثل : من، وإلى فهو جانب من الجملة لا معنى له منفردا .

٤- الحرف معناه الوجه، ومن ذلك قوله تعالى : " ومن الناس من يعبد الله علي حرف" [١]، أي يعبده علي وجه الشك ، لا على وجه اليقين والتسليم له ، فيعبده في وقت الخير والنعمة ، وإذا تغير هذا الوجه إلى الشدة ترك عبادته سبحانه .

٥-الحروف بمعنى اللغة القراءة، كعادة العرب في تسمية الشئ باسم ما هو منه وما قابه وتعلق به . فالقراءة تسمى حرفا لأنها تتكون من أحرف ، ومنه قولهم : حرف ابن مسعود رضى الله عنه ، وحرف أبي رضى الله عنه اى قراءته.

٦ - الحرف بمعنى اللغة اللهجة التى تتكلم بها قبيلة من القبائل ، فقوله صلى الله عليه وسلم : "أنزل القرآن على سبعة أحرف" : ، أراد سبع لغات

[١] سورة الحج الآية :١١

من لغات العرب وهذا قوله أبى عبيد .والجامع بين كل هذه المعانى هو معنى الجانبية أو الوجهية ، فكل معنى يمثل وجها معينا يختلف عن غيرة في الصفات والأداء .

المقصود " بالحرف في الأحاديث: –

نظرا للاختلاف معني الحرف وصحة إطلاقه على معان متعددة كما سبق وعدم ثبوت معناه بالشرع، فقد اختلف العلماء في المقصود به في الأحاديث، و الظاهر أنه يصح إطلاقه على المعان الثلاثة الأخيرة دون الثلاثة المتقدمة، وسوف أعرض أهم هذه الأقوال الواردة في ذلك مع المناقشة والترجيح، فالسيوطى قد أوصلها إلى أربعين قولا، ولكن أكثرها متداخلة أو مردودة . ويجب ملاحظة أن الاختلاف في هذه المسألة نظري، لا ينبني عليه عمل، فمعظم الأمة اليوم تقرأ القرآن الكريم بقراءة حفص عن عاصم، وباقي القراءات العشر موجودة يقرأ بها بعض الناس ويحيط بها المتخصصون في القراءات .فلا يترتب على الخلاف في معنى الأحرف أثر الآن في قراءة القرآن ودراسته، وترجع أهمية ذلك إلى المتخصص الذي يريد أن يقف على أقوال العلماء و آثارهم، وجهودهم في دراسة تاريخ القرآن وعلومه، ثم يبني على أقوالهم ويستنبط منها ما يتجلى هذا التاريخ ويضيف إلى صفحاته الناصعة . وقد جمعت أهم هذه الأقوال وقسمتها إلى قسمين :

القسم الأول : الأقوال المردودة :

– القول الأول:

أن الحرف في الحديث مشكل ولا يعرف معناه، لأنه يصدق لغة على حرف الهجاء، وعلى حرف الجر، وعلى الكلمة، وعلى الوجه .... وهو قول ابن سعدان النحوي، ورد هذه القول بأن المشترك اللفظي إذا وجدت قرينة تعين المراد وترجحه فإنه لا يكون مشكلا، والحرف هنا قطعا لا يقصد به المعان المركورة لأنه لا يستقيم المعن بناءا عليها بل معناه هنا الوجه أو اللغة .

- القول الثاني :

ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والسعة في القراءة والعرب تطلق العدد سبعة وسبعين ومضاعفاتها لإرادة الكثرة ولإيراده العدد المعين كقوله تعالى : " مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة "[1]، وقوله تعالى :" والبحر من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله"[2]. وهذا قول القاضي عياضه ورد ذلك بالأحاديث ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : أقرأ أني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة، وغيره من الأحاديث، فهذا يدل على إرادة حقيقة العدد المعين وهو السبعة.

القول الثالث: المراد به سبعة وجوه من المعاني، أو الأحكام، أو طرائق التعبير التي جاءت في القرآن، واختلفوا في تعيين هذه السبعة فقيل : هي الحلال والحرام، والمحكم، والمتشابه، والأمثال، والإنشاء، والأخبار . وقيل : الأمر، والنهى، والدعاء، والطلب، والخير، والاستخبار، والزجر.

---

[1] سورة البقرة الآية :٢٦١

[2] سورة لقمان الآية :٣٧

وقيل غير ذلك. واستدل أصحاب هذا القول بحديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : كان الكتاب الأول يترل من باب واحد، على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف . زاجر، وآمر، وحلال وحرام، ومحكم و متشابه وأمثال ...[1] . ورد ذلك أولا بأن الحديث ضعيف كما ذكر ابن حجر رحمه الله، وعلى فرض صحته يؤول بأمور : - .. إما أن يكون المقصود بالأحرف هنا غير المقصود بها في الحديث المتواتر أو يكون قوله في الحديث: زاجر وآمر ... تفسيرا للأبواب وليس للحروف أو يكون قوله : زاجر وآمر .... كلام مستأنف في وصف القرآن أي فيه زاجر وأمر، وحلال وحرام ... وليس تفسيرا للأحرف.

٢- وثانيا ما قاله ابن عطية : هذا القول ضعيف لأنه الإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة.

٣- وثالثا : تصريح الأحاديث بوقوع الخلاف في القراءة فقط ، وهذا القول قد رده العلماء، ولم أر مجوزا له وان كان لا يعدم وجها من الصحة لبعض أنواعه وذلك لمن أمعن النظر فيه و كرره، لأنه قد يرتبط على الاختلاف في التشكيل والإعراب في القراءات اختلاف في الأسلوب، ومع ذلك لا يتغير المعنى فيكون التغيير من خلاف التنوع الذي يقبله السياق كما في قراءة : " تعلمون ويعلمون"، على الالتفاف والغيبة، وكذلك قراءة : " ربنا باعد بين أسفارنا"، " وربنا بعد بين أسفارنا " على الخبر والإنشاء . وبناء عليه فيكون الاختلاف في الأسلوب الذي لا يتغير منه

[1] انظر الاتقان ١٣٧/١

المعني داخل ضمن القراءات، وأما المعاني المتقابلة فهي بمعزل عن معني الأحرف.

٤ – إن المراد بالأحرف السبعة، القراءات السبع : – وهذا القول يروج على العامة الذين لا علم لهم بتاريخ القراءات، فهو مردود بوجوه متعددة : –

أ– أن الأحرف التي نزل بها القرآن أعم من تلك القراءات السبع، لأن القراءات المقبولة تشمل كل ما جاء عن النبي ﷺ ، وما أقرأه أصحابه رضي الله عنهم ، فكل ما دخل: تحت الشروط الثلاثة بعد قراءة مقبولة، وقد كان القراء والقراءات متعددة قبل هؤلاء السبعة، وبعدهم . وبناء على ذلك فالأحرف السبعة تشمل القراءات العشر وغيرها مما صح. وسبب اكتفاء المؤلفين على هؤلاء القراء السبع هو الكسل وقصر الهمم في جمع كل القراءات كما نقل ذلك ابن الجزري عن أبي حيان .

ب – أن هؤلاء السبعة القراء لم يكونوا خلقوا وقت تزل هذا الأحرف، ويلزم من ذلك عدم السماح للنبي ﷺ ، ولا لأصحابه بقراءة القرآن حتى يخلق هؤلاء السبعة ويأخذوا عنهم القرآن.

ج – لو قلنا أن المقصود بذلك القراءات السبع للزم من ذلك أن يكون الحديث المتواتر لا معنى له وقت نزوله، حتى يولد هؤلاء السبعة !

د – اجماع العلماء على خلاف هذا القول[1].

القسم الثاني : الأقوال المقبولة : –

[1] انظر النشر ٢٤/١ ، مناهل العرفان ١٩١/١

١- أن المقصود بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب، فكما أن العرب تختلف لغاتها في تناول معنى من المعان يترل القرآن بألفاظ وقراءات مختلفة على قدر لغاتهم .ومع اتفاق أصحاب هذا القول على ذلك فإن بينهم اختلافات: -

- منهم من يقول بأن اللغات السبع تكون في كلمة واحدة، مختلفة الألفاظ، متفقة في المعاني مثل : هلم، أقبل، وتعالى، وعجل، وأسرع، وقصدي، ونحوى .ويجمع بينها جميعا معنى الطلب . وهو قول سفيان بن عيينة، والطبرى، وابن وهب، ونسبة ابن عبد البر إلى أكثر العلماء واستدلوا له بأحاديث صحيحة من تفسيره ﷺ منها ما رواه أحمد والطبراني من حديث أبي بكرة، وفيه قوله ﷺ : حتى بلغ سبعة أحرف، قال : كل شاف كاف، ما لم تختم أية رحمة بآية عذاب، نحو قولك : تعال، أقبل، هلم .... [1] ورد هذا القول بأن الكلمة التي لها سبعة أوجه في القراءة نادرة، أولا توجد في القرآن.

- ومنهم من يقول بأن اللغات السبعة متفرقة في القرآن، وليست في كلمة واحدة، على معنى أنه في جملته لا يخرج عن سبع لغات هي أفصح لغات العرب ، وهذا قول أبي عبيد ومن شايعه .

- واختلفوا كذلك في تعيين أسماء القبائل التي نترل بلغتها، ورجح هذا القول من المحدثين الشيخ مناع القطان ،والدكتور محمد سالم محيسن .

٢- وقيل المراد بالسبعة أحرف سبعة أوجه من الاختلاف في القراءات وهو قول ابن قتيبة، والرازى، و ابن الجزرى، وبين هؤلاء اختلاف في تحديد وتعيين هذه

[1] انظر الاتقان ١٣٤/١ ، وذكر السيوطي عدة أحاديث وصححها

السبعة ، وأول من ضبطها الرازى رحمة الله فهو يرجع الاختلاف في القراءات إلى سبعة أوجه : –

أ – اختلاف الألفاظ في الأفراد والجمع والتذكير والتأنيث، ومثاله قوله تعالى : " والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون"[١].

ب – اختلاف الألفاظ في تصريف اللفظ ومشتقاته، ومثاله قوله تعالى : "ربنا باعد بين أسفارنا"[٢]، قرىء " باعد " فعل أمر، وقرىء " بقد " فعل ماضى. وكذلك اختلافهم في قراءة هذه الأفعال في سورة التكوير ، قرأت مرة تخفيف ، وأخرى بالتشديد : " سجرت ، قتلت ، نشرت ، سعرت ".

ج – الاختلاف في وجوه الإعراب، ومثاله قوله تعالى : " ذو العرش المجيد "[٣]، قرىء برفع " المجيد" صفة " لذو "، وقرىء يجره صفة للعرش "ومثله قوله تعالى : "ولا يضار كاتب ولا شهيد "، قرىء " يضار " بالجزم على أن "لا" ناهية والفتح للراء هنا لإدغام المثلين، وقرىء بالضم على أن "لا " نافية والفعل بعدها مرفوع د– الاختلاف بالنقص والزيادة، ومثاله قوله تعالى : " تجرى تحتها الأنهار " بزيادة " من " في قراءة أخرى، وقوله تعالى : " وما خلق الذكر والأنثى "، وفي قراءة " والذكر والانثى " بحف " وما خلق". – الاختلاف بالتقديم والتأخير، ومثاله قوله تعالى : " وجاءت سكرة الموت بالحق "[٤]، وقرىء " وجاءت سكرة الحق بالموت ".

---

[١] سورة المعارج الآية :٣٢
[٢] سورة سبأ الآية :١٩
[٣] سورة البروج
[٤] سورة ق الآية :١٩

ز- الاختلاف بالإبدال، ويكون بإبدال حرف بحرف، ومثاله قوله تعالى : " وانظر إلى العظام كيف ننشرها"[1]، وقرىء " ننشزها " بالزاي ". والإبدال في الكلمات ومثاله قوله تعالى : " كالعهن المنفوش "، وفي قراءة " كالصوف المنفوش " الاختلاف اللهجات، أي طريقة الأداء والنطق كالاختلاف في المد والقصر، والتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والإظهار والإدغام وغير ذلك، ومثاله قراءة الفتح والإمالة في قوله تعالى: "هل أتاك حديث موسى"، في كلمتي: " أتى، وموسى" . ورجح هذا القول من المحدثين: الزرقانى، وتبعه الصابوني، والدكتور. بكر إسماعيل وغيرهم، ودليل هذا القول الاستقراء والتتبع للخلاف الواقع في القراءات .

وبناء على ما سبق يكون القولان الأخيران بما يندرج تحتهما من أقوال هما الصواب فيما أرى، وليس أحدهما دون الآخر ويكون الخلاف بينهما من باب خلاف التنوع ومن الأدلة على ذلك :

من قال بأنها لغات سبع، يصح لأن الحرف كما ذكر هو الوجه أو اللغة ، ويصح كذلك قول من قال بالوجه لأنهم حصروا بالاستقراء أنواع الاختلاف في هذه اللغات السبع ، فوجدوها سبعا .

تصريح بعض الأحاديث بالتمثيل لهذه الأحرف السبعة بأنها اختلاف لغات كما ورد في حديث أبي بكرة السابقة، قال ابن عبد البر: "إنما أراد بهذا ضرب المثل

[1] سورة البقرة الآية :٢٥٩

للحروف الفتى القرآن عليها، وإنما معان متفق مفهومها، مختلف مسموعها، لا يكون في شيء معين وضده، ولا وجه يخالف معن وجه، خلافا ينفيه ويضاده"[١].

٣-يتفق هذا التفسير للأحرف السبعة مع العلة والحكمة من إنزالها، فالأحاديث عللت ذلك بالتيسير والرحمة على الأمة العربية، لتعدد لهجاتا، وشيوع الأمية فيها، وصعوبة القراءة بغير لهجاتها، فخفف الله سبحانه وتعالى عنهم بجواز قراءة القرآن على سبع أوجه من لهجات العرب ولغاتها، قال أبو شامة: "أنزل القرآن أولا بلسان قريش ومن جاورها من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم الى جرت عادتهم باستعمالها على اختلاف في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحد منهم الإنتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقة، ولما كان فيهم من الحمية، ولطلب تسهيل فهم المراد"[٢].

وأما من اعترض على هذا التفسير بأن لغات العرب أكثر من س بع، فيجاب بأن السبع هي أفصحها، أو أنه نزل غالبه على سبع لغات، فلا يمنع من ذلك نزول ألفاظ قليلة بلغات أخرى . وقيل : يرد هذا التفسير بأن عمر وهشام رضى الله عنهما اختلفا في القراءة وهما من قريش، ويجاب بأن الاختلاف بينهما قد يكون في لفظ واحد قرىء على سبعة أوجه، أو يكون أحدهما آخذة عن النبي صلى الله عليه وسلم بقراءتين، والآخر سمع قراءة واحدة . والله أعلم .

وممن صحح معظم هذه الأقوال ابن حيان : " وهي أقاويل يشبه بعضها بعضا و كلها محتملة وتحتمل غيرها " . وقال المرسى : ولا أدري لم خص كل واحد منهم

---

[١] انظر الإتقان ١٣٤/٦

[٢] المرجع السابق

هذه الأحرف السبعة بما ذكر، مع أن كلها موجودة في القرآن، فلا أدري معين التخصيص [1].

علاقة القراءات العشر بالأحرف السبعة:

أجمعت الأمة على صحة قراءة القرآن بالقراءات العشر الموجودة الآن لأنهما متواترة، وقد عرضنا لمعنى الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، فما هي علاقة هذه القراءات بالأحرف السبعة ! ويجاب عن هذا السؤال بسؤال آخر هل الأحرف السبعة موجودة الآن في المصحف ؟

للعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال :

الأول : نعم فالمصحف العثماني يشتمل على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ومن أدلتهم :-

١ - أنه لا يجوز للأمة أن تحمل نقل شئ من الحروف التي بها الم نزل القرآن با وإلا تكون مفرطة في حفظ كلام الله وربنا سبحانه .

٢ - - أجمع الصحابة رضي عنهم على نسخ مصحف عثمان رضي الله عنه من المصحف الذي جمعه أبو ابو بكر رضى الله عنه، و كان مشتملا على الأحرف السبعة، ورجح هذا الرأي الزرقاني .

الثاني : أن المصحف الآن يشتمل على حرف واحد من السبعة، ونسخت الأحرف بإجماع الصحابة رضي الله عنهم على قراءته بحرف واحد، بأمر خليفة المسلمين

[1] انظر الإتقان ١٢٤/١، المناهل ١٥٧ ، تفسير القرطبي ٣٩/١ ، النشر ٢٤/١، الفتح ٦٤٥/٨ ، مباحث في علوم القرآن ص ١٥٦

عثمان بن عفان رضى الله عنه، وذلك بعد وقوع الخلاف بين الأمة بسبب تعدد القراءات، فكان جمعهم على حرف واحد حسما لهذا الشقاق، كما أن العلة في قراءته بالأحرف السبعة قد زالت بشيوع القراءة والكتابة في الأمة، وسهولة اجتماعهم على لغة قريش، ولأن القراءة على الوجوه السبعة كانت جائزة وليست فرضا، فبأي حرف حفظ الأمة القرآن وقرأته جاز لها ذلك ، كما خير المكفر عن يمينه بين العتق والإطعام والكسوة، ولذلك اختارت الأمة حرفا واحدا وهي لغة قريش جمعا للأمة وتوحيدا لشأها . وهذا الرأي لابن جرير الطبري ومن شايعه .

الثالث : أن القراءات العشر تعتبر بعض الأحرف السبعة وليست كلها، فالمصحف العثماني يشتمل على ما يحتمله رسمه منه هذه القراءات دون جميعها، وهذا الرأي منسوب لجماهير العلماء من السلف والخلف وهو الصواب لأمور :-

١-التصريح بأن جمع المصحف في عهد عثمان رضي الله عنه كان سببه وقوع الخلاف والشقاق والتقاتل بين الأمة لكثرة القراءات، كما جاء في الحديث الصحيح من قول حذيفة رضي الله عنه العثمان رضي الله عنه : " فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ....." فهذه العلة تدل ع لى أنه حصر الخلاف في القراءات فاكتفي منها على أصحها والمجمع عليه منها، وما لم ينسخ فجمع ذلك في مصحف واحد التقرأ وفقه جميع الأمة، وأمر بتحريق ما سواه من مصاحف الصحابة رضي الله عنهم . فكان ذلك سببا في جمع الأمة ونزع أسباب الخلاف

بينها ، فدل ذلك على أن عثمان رضي الله عنه اكتفي على بعض الأحرف ولم يشتمل مصحفه على جميعها كما جاء في القول الأول.

٢- تنوع أوجه الخلاف بين هذه القراءات العشر، ففيها ما يرجع إلى اختلاف اللغات واللهجات، ومنها ما يرجع إلى الاختلاف في الإعراب والتصريف، ومنها ما يرجع إلى اختلاف المعاني والألفاظ ... كل ذلك يرد القول الثاني ، ويؤكد الثالث .

٣-تصريح بعض الأحاديث بأن العرضة الأخيرة نسخت بعض القراءات فقد صح الحديث عن ذربن حبيش فال : قال لي ابن عباس رضي الله عنهما : أى القراءتين تقرأ ؟ قلت : الأخيرة . قال : فأن النبي ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة قال: فعرض عليه القرآن في العام الري قبض فيه النبي ﷺ مرتين، فشهد عبد الله، يعن ابن مسعود ما نسخ منه وما بدل، قراءة عبد الله الأخيرة ". قال ابن الجزري : " وإذ قد ثبت ذلك فلا إشكال أن الصحابة كتبوا في هذه المصاحف ما تحققوا أنه قرآن، وما علموه استقر في العرضة الأخيرة، وما تحققوا صحته عن النبي ﷺ مما لم ينسخ ، وإن لم تكتب داخله في العرضة الأخيرة ، وهذا الرأي رجحه ابن الجزري [١]

[١] انظر الفتح كتاب التفسير ، ٦٢٧/٨ ، النشر ٣٢/١

الفصل الرابع

القراء

من المعلوم في تاريخ القراءات أن المعول في نقلها هو التلقي والسماع ثقة عن ثقة ، وإمام عن إمام حتى تصل مسلسلة السماع إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه وتعالى، وأما الكتابة في المصاحف فكانت من باب التوثيق، وتأكيد الحفظ ولكلام الله سبحانه، ولم تكن هي الأصل وإنما لم تكن منقوطة ولا مشكلة ليستوعب الرسم كل القراءات هو أول من جمع القراءات النبي صلى الله عليه وسلم، فقد نزل جبريل عليه السلام بالأحرف السبع، ثم أخذها عنه الصحابة ﷺ ، منهم من أخذ قراءة واحدة ومنهم من سمع قراءتين، ومنهم من زاد على ذلك، ثم تفرق الصحابة ﷺ في الأقطار الإسلامية بعد اتساع الفتوح ليعلموا الناس القرآن والشرع، وقد جمعهم عثمان ﷺ على ما يحتمله مصحفه الإمام من قراءات متواترة، وأرسل مع كل واحد منهم نسخة توافق قراءته إلى سمعها من النبي ﷺ ، وبالتالى اختلفت قراءات التابعين بسبب ذلك، ثم تابعي التابعين أيضا، وتعددت القراءات بصورة كبيرة، مما جعل بعض العلماء يختار بعض القراء والقراءات الذين تخصصوا في ذلك وعرفوا بالضبط والثقة وهو ما عمله ابن مجاهد في اختيار القراءات السبعة . .

أشهر القراء من الصحابة ﷺ : عثمان بن عفان، على بن أبي طالب، أبي بن كعب، زيد بن ثابت، ابن مسعود، أبو الدرداء، وأبو موسى الاشعري، وابن عباس، وأبو هريرة رضي الله عنهم جميعا .

أشهر القراء من التابعين : – اشتهر بالمدينة : ابن المسيب، وعروة ، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وعطاء وسليمان ابن يسار، والأعرج، عبد حمن بن هرمز، وابن شهاب الزهري وغيرهم .

واشتهر بمكة : عبيد بن عمير، وعطاء بن أبي رباح، وطاووس، ومجاهد حير، وعكرمة وغيرهم .

واشتهر بالكوفة : علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيده، وأبو عبد حسين السلمي وذر بن حبيش، وسعيد بن جبير وغيرهم .

واشتهر بالبصرة : أبو العالية، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم، يحيى ، والحسن، وابن سيرين وغيرهم .

واشتهر بالشام : المغيرة بن أبي شهاب، وخليفة بن سعد ثم اشتهر بعد ذلك قوم تجردوا للقراءة، واعتنوا بضبطها أتم عناية، حتى اروا أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم، وفي عصر التدوين تبارى العلماء في وين القراءات، وضبط سندها والعناية بروايتها، وكانت قراءات عديدة، حتى جاء ابن مجاهد فاكتفى بالقراءات السبع فاختار من القراء من اشتهر بالضبط، تقان وطول العمر في ملازمة القراءة، واجتماع العلماء على توثيقه والأخذ عنه، فرضت الأمة صنيعه، وأجمعت على صحة هذه القراءات وتواترها إلى اليوم، وهذه هي تراجم مختصرة لهؤلاء الأعلام الذين تشرفوا بنقل كلام الله حانه وتعالى إلى الأمة :

١- **ابن عامر الشامي** : اسمه عبد الله اليحصبي، ويكنى أبا نعيم، وهو تابعي جليل ولد سنة إحدى وعشرين، وقيل : سنة ثمان من الهجرة، أم المسلمين سنين عديدة في الجامع الأموي، وجمع له بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء بدمشق، وأجمع الناس على قراءته، أخذ ابن عامر القراءة عن أبي هاشم المغيرة بن أبي شهاب وسمعها المغيرة من عثمان رضي الله عنه وعثمان من النبي صلى الله عليه وسلم، توفي ابن عامر بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة، وروى عنه كثيرون أشهرهم . هشام بن عمارة .توفي سنة خمس وأربعين ومائتين، وابن ذكوان وهو عبد الله بن أحمد بن بشير توفي سنة اثنين ومائتين".[١]

٢-ابن كثير المكي :

هو عبد الله بن كثير بن عمرو الدارى، تابعى چليل ولد سنة خمس وأربعين، وكان إمام الناس في القراءة بمكة لم ينازعه فيها أحد، تلقى القراءة عن أبي السائب عبد الله بن السائب وغيره، وقرأ ابن السائب على أبي بن كعب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي سنة عشرين ومائة .وممن اشتهر بالرواية عنه : البزي وهو أحمد بن محمد بن عبد الله القاسم توفي سنة خمسين ومائتين . وقنبل، وهو محمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين[٢].

٣- عاصم الكوفي :

---

[١] انظر النشر ١٤٤/١ ، المناهل ٤٥٦/١

[٢] انظر النشر ١٢٠/١ ، المناهل ٤٥٧/١

هو أبو بكر عاصم بن أبي النجود، توفي سنة سبع وعشرين ومائة، – تنتهى إليه رياسة الإقراء بالكوفة، وجمع بين الفصاحة والإتقان والتجويد، أخذ مراءة عن عبد الله بن حبيب، وذر بن حبيش، وولاء عن ابن مسعود عن صلى الله عليه وسلم .

وممن اشتهر بالرواية عنه : شعبة : وهو ابن عباس بن سالم الأسدى توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة، وحفص : وهو أبو عمر حفص بن سليمان بن غيرة، توفي س نة ثمانين ومائة، وتقرأ اليوم أغلب الأمة بقراءة حفص عن عاصم [١]

– أبو عمرو البصري:

وهو أبو عمرو بن العلاء البصري، ولد سنة ثمان وستين، وكان أعلم ناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة، والأمانة، قرأ أبو عمرو على الحسن البصري، وقرأ الحسن على حطان بن عبد الله الرقاشي، وقرأ حطان على أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم، وله طرق أخرى متعددة .توفي سنة أربع وخمسين ومائة. وممن اشتهر بالقراءة عليه الدوري، وهو حفص بن عمر الضرير ، توفي سنة ست وأربعين ومائتين، والسوسي، وهو صالح بن زياد توفي سنة إحدى وستين ومائتين [٢].

٥– حمزة الكوفي :

وهو ابن حبيب الزيات الكوفي، ولد سنة ثمانين، وكان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش، ثقة حجة عالما بالفرائض والعربية، قرأ على محمد

[١] انظر النشر ١٥٦/١ ، المناهل ٤٥٨/١
[٢] النشر ١٣٤/١ ، المناهل ٤٦٠/١

الباقر بن زيد العابدين، عن أبيه زين العابدين عن الحسين عن على رضي الله عنه عن النبي صلى الله على وسلم وله طرق أخرى متعددة، وتوفي سنة ست وخمسين ومائة .

وممن اشتهر بالرواية عنه : خلف : وهو ابن هشام بن طالب البزار، توفي سنة تسع وعشرين ومائتين وخلاد : وهو خلاد بن خالد الأصول الصيرفي، توفي سنة عشرين ومائتين[١].

٦- **نافع المدني** :هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدن، ولد سنة سبعين، كان إمام الناس في القراءة بالمدينة النبوية لمدة سبعين سنة، كان إذا تكلم يشح من فيه رائحة المسك، قرأ نافع على سبعين من التابعين، منهم عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله على وسلم، وله طرق أخرى، توفي سنة تسع وستين ومائة . .

وممن اشتهر بالرواية عنه : قالون : وهو عيسى بن مينا النحوى، توفي سنة عشريين ومائتين .وورش : وهو عثمان ابن سعيد المصري، توفي سنة سبع وتسعين ومائة.[٢]

٧- **الكسائي الكوفي** : هو أبو الحسن على بن حمزة الكسائي النحوي، توفي سنة تسع وثمانين ومائة ان أعلم الناس بالنحو والغريب، كان من كثرة الآخذين عنه يجلس المحلس فيقرا القرآن من أولة إلى آخره، وهم يسمعون منه .

---

[١] النشر ١٦٦/١ ، المناهل ٤٦٠/١

[٢] النشر ١١٣/١ ، المناهل ٤٦١/١

ومن اشتهر بالرواية عنه : أبو الحارث : الليث بن خالد المروزى، توفي ة أربعين ومائتين .والدرو : وشو حفص بن عمر الدروى().

٨- **أبو جعفر المدني** : هو يزيد بن القعقاع، توفي سنة ثلاثين ومائة، كان أمام الناس بالمدينة امات وجدوا عند تغسيله بين نحره وقلبه مثل ورقة المصحف، فهاشك أحد ته نور القرآن . قرأ على عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وأبي هريرة، وعن ابى بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم -

وممن اشتهر بالرواية عنه : ابن وردان : وهو أبو موسى عيسى بن وروان، توفي سنة ستين ومائة، وابن حماز : وهو أبو الربيع سليمان بن مسلم، توفي سنة سبعين ومائة

٤- يعقوب البصري : هو أبو محمد يعقوب بن اسحاق الضرمى، توفي سنة خمس ومائتين، - انتهت إليه رئاسة القراءة بعد أبي عمرو، أعلم الناس بالحروف واختلاف القراءات، ومذاهب النحاة، قرأ على عاصم وعلى أبي عمرو وسبق سندهما .

وممن اشتهر بالرواية عنه : روح بن عبد المؤمن توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين، ورويس ؛ وهو محمد بن المتوكل للؤلؤي، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين (١).

---

[1] النشر ١٨٦/١ ، المناهل ٤٦٣/١.

١٠- خلف:هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب، توفي سنة تسع وعشرين ومائتين، قال : أشكل على باب في النحو فأنفقت ثمانين ألفا حتي عرفته، قرأ على سليم عن حمزة، وعلى يعقوب الأعشى، وسعيد بن أوسي، وأبان العطار، وقرأ الثلاثة على عاصم، ومضى سند حمزة وعاصم . وممن اشتهر بالرواية عنه : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المروزي، الوراق توفي سنة ست وثمانين ومائتين[١] . وأبو الحسن البغدادي المتوفي سنة اثنين وتسعين ومائتين .وأضاف العلماء : إلى هؤلاء أربع فراءات اختلف فيها بين الصحة و الشذوذ، وهي قرابة : الحسن البصري المتوفي سنة مائة وعشرة، وابن محيصن المتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائة، والشنبوزى المتوفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة[٢] . والراجح أن المتواتر فقط هو القراءات العشر لإجماع الأمة على تلقيها بالقبول، وما سواها من القراءات يعد شاذا، وأما قول القائل بأن القراءتين المتواترة لا حد لها وهي كل قراءة صح سندها ووافقت العربية ورسم المصحف فهي من الأحرف السبعة سواء كانت من السبعة أو غيرها، فإن هذا القول يصيح في الصدر الأول، وأما في زماننا فإنه لا توجد قراءة متواترة خلاف العشرة ، وهو قول السبكي والبغوي وغيرها[٣]

[١] النشر ١٩٢/١ ، المناهل ٤٦٤/١
[٢] المناهل ٤٦٥/١
[٣] المناهل ٤٦٧/١

الفصل الخامس

التجويد وأحكامه

معني التجويد وفائدته وحكمه : –

التجويد لغة : التحسين ، وأجاد الشيء فجاد ، وجوده تجويدا ، أي تحسينا [١] ، ويقال فلان جود في كذا ، أي فعل ذلك جيدا . والتجويد في الاصطلاح : هو تلاوة القرآن على الصورة التي أنزل بها على سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ، بإعطاء الحروف حقها ، ومستحقها . [٢] ومعني حق الحرف : هو صفته اللازمة كالجهر والهمس والشدة ، ومستحقه أي : الصفات العارضة التي تترتب على الصفات الذاتية ، أو تنشأ بسبب تركيب الحرف مع غيره في الكلمة كالترقيق والتفخيم ، والإدغام ، والغنة وغير ذلك .

وفائدة علم التجويد : جودة التلاوة وقراءته كما أنزل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وحفظ اللسان من اللحن في القرآن ، أي من الخطأ في تلاوته . واللحن نوعان : الأول :

اللحن الجلي: وهو الخطأ الذي يغير اللفظ ، ويخل بالمعني ، ويكون بسبب مخالفة قواعد اللغة العربية ، كأن يبدل حرف مكان حرف ، أو يغير حركة الحرف من الضم إلى الكسر مثلا ، ويسمي ذلك باللحن الجلي لأنه ماهر، يدرك هذا الخطأ عامة الناس فضلا عن علماء القراءة والتجويد .

---

[١] مختار الصحاح باب الدال ص١٠٠

[٢] نظر كفاية المريد في علم التجويد ص١

والثاني :اللحن الخفي: وهو الخطأ الذي يغير اللفظ ولا يخل بالمعني ، ويكون بسبب مخالفة قواعد التجويد ، كترك المد ، والغنة وغير ذلك ، وحكم هذا خطا الكرامة بخلاف الأول فانه محرم [١]

حكم التجويد:-

التجويد العملي واجب عيني علي من يقرأ القرآن من المسلمين ، ومن الأدلة علي ذلك :

- قوله تعالى : " ورتل القرآن ترتيلا " [٢] ، فمعنى الآية : الأمر بتجويد القرآن ، قال ابن عباس : بينه ، وقال مجاهد : معناها : تأن فيه ، وقال الضحاك : أنيده حرفا حرفا ..... وأفصل الحرف من الحرف الذي بعده . ولم يقتصر سبحانه علي الأمر بالفعل حتي أكده .بالمصدر اهتماما به ، ليكون ذلك عونا علي تدبر القرآن وتفهمه . ومن السنة ما رواه البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : كانت مدا، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) بعد الله ، وبمد الرحمن ..... ومن ذلك ما رواه الترمذي الي عن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " يقال لصاحب القرآن اقرأه وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها ". فقال الملا علي القاريء : معني "رتل " : أي بتجويدك الحروف ، ومعرفة الأحكام الخاصة بالترتيل .[٣] وغير ذلك من الأحاديث .

---

[١] انظر النشر ٢١١/١

[٢] سورة المزمل الآية :٤

[٣] أربعون حديثا في فضل القرآن

قال ابن الجزري : " ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده ، متعبدون كذلك بتصحيح ألفاظه ، وإقامة حروفه علي الصفة المتلقاه من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها ". [1] وهذا يعني أن الأمة أجمعت علي وجوب قراءة القرآن بالكيفية المنقولة عنه صلي الله عليه وسلم .

وللقراءة مراتب ثلاثة : -

١- **التحقيق** : والمراد القراءة بتؤدة وطمأنينة ، أي إعطاء الحروف حقها ومستحقها من إشباع المد، وتحقيق الهمز ، واتمام الحركات ، وتوفية الغنات .. وغير ذلك ويكون في مقام التعليم ، وهو مذهب حمزة وورش والكسائي وغيرهم .

٢ - **الحدر** : وهي القراءة بسرعة مع مراعاة الأحكام وقواعد التجويد من إظهار وإدغام وقصر ومد ووقف وغير ذلك ، وهو مذهب القراء الذين لا يمدون المنفصل وهو مذهب ابن كثير ، وأبي جعفر وأبي عمرو وغيرهم.

٣ - **التدوير** : وهي قراءة بحالة متوسطة بين التؤدة و الإسراع مع مراعاة الأحكام بين النوعين السابقين ، وهو مذهب من مد المنفصل، ولم يبلغ فيه إلى حد الإشباع.[2]

---

[1] النشر ٢١٠/١

[2] انظر الشر ٢٠٥/١

آداب التلاوة : –

١– يستحب الإكثار من تلاوة القرآن بالليل والنهار ، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالي : " يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون".[١]

– وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: "لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله القران فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار .... " . – وروي الترمذي من حديث ابن مسعود : " من قرأ حرفا من كتاب الف الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها .

– وأخرج مسلم من حديث أبي أمامة : " اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه

– وأخرج البيهقي من حديث عائشة : " البيت الذي يقرأ فيه القرآن يترائي لأهل السماء كما تتراءي النجوم لأهل الأرض ". مع فيؤخذ من هذه الأحاديث الإكثار من تلاوة القرآن تقربا إلى الله ، وطلبا للثواب وزيادة الإيمان والتقوي ، فإن في ذلك راحة ونور للقلب والصدر ، وشفاء [٢]من الأسقام والشهوات ، قال تعالي : " قل هو للذين آمنوا هدي وشفاء" ، وقال تعالي : " وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا .." [٣]

وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات مختلفة ، فأعلي هذه المراتب من كان يقرأه في ثلاثة أيام ، ومنهم من قرأه كله في ليلة واحدة ، ومنهم من يختمه في خمس ،

---

[١] سورة آل عمران الآية :١١٢

[٢] سورة فصلت الآية :

[٣] سورة الأنفال الآية :

ومنهم من يختمه في سبع ، ومنهم في عشر ، ومنهم في شهر ، وقد كره بعض العلماء من يأخر ختم القرآن عن أربعين يوما ، كما قال الإمام أحمد رحمه الله ، واستدل بما رواه أبو داود عن ابن عمر عندما سأل النبي صلي الله عليه وسلم : في كم تختم القرآن ؟ قال : في أربعين يوما . وبين النووي أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص وأحوالهم ، فمن كان مشغولا بتحصيل العلم ، أو القضاء أو غير ذلك من مصالح المسلمين ومهمات الدين ، فليقتصر على قدر لا يحصل به إخلال وهجر للقرآن ، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر من القراءة ما أمكنه .." [1]

٢ – يكره نسيان القرآن بعد حفظه، وعد العلماء ذلك من الكبائر .

٣– يستحب الوضوء لمن يريد القراءة وإمساك المصحف ، وأما من يقرأ من حفظه فيجوز له القراءة بدون وضوء ، ويحرم على الجنب والحائض القراءة ومس المصحف ، ويجوز لهما فقط النظر في المصحف بدون مسه وامرار القراءة على القلب بدون تلفظ وتحريك اللسان .

٤– ويسن القراءة في مكان نظيف، وأفضل ذلك المساجد.

٥– يستحب استقبال القبلة ، والجلوس بوقار وسكينه وخشوع أثناء القراءة .

٦– يسن التسوك قبل القراءة ، لتطهير الفم .

٧– ويسن التعوذ قبل القراءة لقوله تعالي : " فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ". ولفظها : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ومعناها : اعتصام

[1] انظر الاتقان ٢٩٣/١

القاريء بالله سبحانه ، والتجاؤه إليه لينجيه من شر الشيطان ووسوسته التي تحول بين القاريء وفهم القرآن، وحبه، والعمل به . ويجهر بالإستعاذة في جلسة التعليم ، وعند القراءة الجهرية ، وفي حضرة من يسمع. . ويسر بها في الصلاة والقراءة السرية .

٨- ومن ذلك المحافظة على البسملة بعد الإستعاذة ، وذلك في كل سورة ، لأن الراجح أنها آية من أول كل سورة ، فلو تركها لا تتم الختمة ، وتقرأ البسملة في أول السورة ، وكذلك في وسطها إذا بدأ به القراءة ، وبين السورتين . ولا تقرأ في أول براءة .

٩- يجب الإخلاص في القراءة ، أي يقرأ المسلم طلبا لرضاء الله وثوابه وطاعته ، لا مراءاة للناس كمن يحفظ القرآن ويتعلمه طلبا لشهادة فقط أو الوظيفة ورياسة ، وثناء من الناس .

١٠- ويستحب الترتيل في القراءة ، وهي القراءة بتؤدة وطمأنينة بإعطاء الحروف حقها من المد والمخرج والصفة و الحكم ، ويكره الإسراع المفرط الذي يفوت معه الخشوع والتدبر والتجويد .

١١- ويشغل نفسه بالتدبر أثناء القراءة ، فيعرف معاني الألفاظ والآيات ، ويتأمل الأوامر والنواهي وسنن القرآن، فإن رأي نفسه مقصرا في ذلك استغفر وتاب ، وإذا مر بآية عذاب أشفق واستعاذ بالله من ذلك ، وإذا مر بأية رحمة وفضل طلب وتضرع إلى الله سبحانه.

١٢- يستحب البكاء عند قراءة القرآن أو التباكي ، ولكن بدون تكلف ولا رياء ، قال النووي : " وطريقة في تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد ، والمواثيق والعبود ، ثم يفكر في تقصيره فيها ، فإن لم يحضره عند ذلك حزن ولا بكاء فليبك علي فقد ذلك ، فإنه من المصائب ". [١]

١٣- ويستحب تحسين الصوت بالقراءة ، ولكن بغير إفراط يؤدي إلي الخروج بالحرف عن حده ، مثل إشباع الحركات حتي يتولد حرف أخر ، أو يدغم ويمد في غير موضعهما . أما النساء فلا يفعلن ذلك عند سماع الرجال لهن .

١٤- ولا يستحب الجهر بالقراءة حيث يخاف الرياء ورؤية الناس له ، أو إذا أدي إلي التشويش علي مصل أو قاريء بجواره ، فإذا أمن ذلك فلا بأس بأن يجهر بالقراءة لأن فيه إيقاظ لهمة القاريء ، وجمع لفكره وبصره با وطرد لنومه .

١٥- ويستحب القراءة من المصحف لأن فيه زيادة ثواب ، وهو النظر بالعين في كلام الله تعالي ، ولا بأس بالقراءة من الذين إذا كان فيه زيادة خشوع وتدبر.

١٦- يكره قطع القراءة لمكالمة أحد ، لأن كلام الله أفضل من كل شيء ، ويكره كذلك العبث واللعب والضحك أثناء التلاوة .

١٧ - يسن أن يصوم الإنسان اليوم الذي يختم فيه القرآن ، وأن يدعو لنفسه وللمسلمين بعد الختم ويجمع أهله وأصدقاءه كما كان يفعل أنس رضي الله عنه ،

[١] انظر الاتقان ٣٠٢/١

لأن الدعاء مستجاب عند ختم القرآن ، فقد جاء مرفوعا : " من ختم القرآن فله دعوة مستجابة * .

١٨- ويستحب التكبير إذا وصل إلي سورة الضحي ، وهو أن يقول : الله أكبر بين كل سورتين إلي نهاية القرآن ، وهذه هي قراءة ابن كثير المكي . وذلك تشبيه لختم القرآن بنهاية شهر الصيام الذي يستحب له التكبير حتي صلاة العيد.

١٩- يستحب إذا ختم القرآن بقراءة سورة الناس ، أن يبدأ بعد ذلك القرعة فيقرأ من سورة البقرة إلى قوله تعالي : " أولئك هم المفلحون ". [١]

مخارج الحروف وصفاتها : -

المخرج لغة : هو محل الخروج ، وإصطلاحا : محل خروج الحرف ، حيث ينقطع الصوت عنده فيتميز عن غيره .

كيفية معرفة مخرج الحرف : إذا أراد الشخص معرفة مخرج الحرف ينطق به مشددا بعد همزة الوصل محركة بحركة مثل : اغ – اص – اق ..... الخ.

والمخارج نوعان : عامة ، وهي المشتملة على أكثر من مخرج، وخاصة وهي التي تشتمل علي مخرج واحد.

والمخارج العامة ثلاثة : -

١ – **الجوف** : ويخرج منه حروف المد الثلاثة الساكنة مثل : قال – قيل – يقول . والخلاء : هو داخل الحلق .

[١] انظر الاتقان / آداب تلاوة القرآن

٢ – **الحلق** : وفيه ثلاثة مخارج : – – أقصي الحلق مما يلي الصدر : ويخرج منه الهمزة والهاء .

– وسط الحلق : ويخرج منه العين ، والحاء .

– أدني الحلق : وهو أقربه مما يلي اللسان ، ويخرج منه الغين والخاء .

– **اللسان ، ومنه عشرة مخارج :**

– أقصي اللسان مما يلي الحلق مع ما يحاذيه من الحنك الأعلي ويخرج منه القاف .

– أقصي اللسان بعد مخرج القاف مع ما يحاذيه من الحنك الأعلي ، ويخرج منه : الكاف ، ويسمي القاف والكاف حرفيين لهوپينا لقربهما من اللهاة .

– وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلي ، ويخرج منه : الجيم ، والشين ، والياء المتحركة المفتوح ما قبلها ، وتسمي الحروف الشجرية .

– إحدي حافة اللسان مما يلي الأضراس العليا ، ويخرج منه :

الضاد وخروجها من الناحية اليسري أيسر .

– أدني حافة اللسان الأمامية مما يلي الأنياب مع ما يحاذيها من لثة الأسنان العليا ويخرج منه : اللام .

– طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا ، ويخرج منه :النون المظهرة.

– طرف اللسان مائلا إلي ظهره قليلا مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا ،

ويخرج منه : الراء. طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ، ويخرج منه: الطاء ، والدال ، والتاء .

– طرف اللسان مع ما بين الأسنان العليا و السفلي، ويخرج منه :الصاد ، والزاي ، والسين .

– طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا ، ويخرج منه : الظاء ، والذال ، والثاء ، وتسمي الحروف اللثوية ، لخروجهم من قرب اللثة.

– الشفتان : ولها مخرجان : وهما

– بطن الشفة السفلي مع أطراف الثنايا العليا ، ويخرج منه : الفاء .

– الشفتان معا بانطباق ويخرج منه : الواو المتحركة ، والباء والميم ، وتسمي الحروف الشفوية .

٥ – الخيشوم : وهو أعلي الأنف وأقصاه من داخله ، ويخرج منه : الغنة في الميم والنون .

صفات الحروف:

صفة الحرف : هي الحالة التي تعرض للحرف عند النطق به ، وصفات الحروف سبع عشرة صفة كما اختارها ابن الجزري ، وتنقسم إلي : –

١ – صفات لها ضد ، وهي : –

– أ– الهمس وضده الجهر.

ب- الشدة وضده الرخو .

ج- الاستعلاء وضده الاستفال .

د – الإطباق وضده الانفتاح .

و – الإذلاق وضده الإصمات .

أ **الهمس** : هو خفاء الحرف وجريان النفس معه عند النطق به لضعف الاعتماد عليه في مخرجه ، وحروفه عشرة : (فحثه شخص- سكت) . وضده الجهر : ومعناه : ظهور الحرف لانحباس النفس معه عند النطق به القوة الاعتماد على مخرجه، وحروفه هي الباقية بعد حروف الهمس .

ب – الشدة : قوة الحرف لانحباس الصوت من الجريان عند النطق به لقوة الاعتماد عليه في مخرجه ، وحروفه : (أجد قط بكت) . والرخو معناه : لين الجرف لضعفه وجريان الصوت عند النطق به لضعف .الاعتماد عليه في مخرجه ، وحروفه هي الباقية بعد حروف الشدة .

ج – الاستعلاء : وهو ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلي عند النطق بالحرف وحروفه هي : (خص ضغط قظ) . وضده الاستفال : وهو انخفاض اللسان بالحرف عند النطق به ، وحروفه هي الباقية بعد حروف الاستعلاء .

د – الإطباق : وهو إلصاق اللسان بالحنك الأعلي عند النطق بالحرف ، وحروفه هي : الصاد – الضاد – الطاء – الظاء . وضده الانفتاح وهو انفتاح اللسان عند الحنك الأعلي عند النطق ، وحروفه هي : الباقية بعد حروف الإطباق .

و – الإذلاقي : وهو خفة الحرف عند النطق به لخروجه من طرف اللسان ، أو من الشفتين ، وحروفه : (فر من لب). وضده الإصمات : وهو عدم مجيء شروفة منفردة أصولا في الكلمات الرباعية أو الخماسية في اللغة العربية ، وما وجد كذلك لا يكون عربيا مثل : عسجد ". وحروفه في : الباقية بعد حروف الإذلاق.

٢ –صفات ليس لها ضد وهي : –

أ– الصفير: وهو صوت يشبه صفير الطائر يصاحب خروج الجرف ، و حروفة : الصاد ، الزاي ، السين .

ب – القلقلة : وهي اضطراب المخرج عند النطق بالحرف حتي يسمع له نبرة قوية ، وحروفه هي : (قطب جد).

ج – اللين : – وهو إخراج الحرف بلين وسهولة ، وحروفه : الواو ، الياء المفتوح ما قبلها مثل : عين . .

د– الانحراف : وهو الميل بالحرف عن مخرجه عند النطق به إلي مخرج آخر، وحروفه : اللام – الراء .

ل – التكرير : وهو ارتعاد رأس طرف اللسان بالحرف عند النطق به ، وهي : الراء ، فيجب تجنب ذلك عند النطق به .

و – التفشي : وهو انتشار الريح في الفم عند النطق بالشين .

ي – **الاستطالة** : وهي امتداد مخرج الضاد عند النطق به حتي تتصل بمخرج اللام . [1]

أحكام التفخيم والترقيق: –

التفخيم معناه : سمنة تدخل السرة عند النطق به فتملأ الفم بصداه ، والترقيق عكسه : وهو رقة تلحق الحرف عند النطق به . والحروف تنقسم من حيث الترقيق زالته خيم إلى ثلاثة أقسام : –

الأول : حروف تفخم دائما، وهي حروف الاستغلاء مجموعة في عبارة :

خص ضغط قظ ، ولتفخيمها مراتب : أعلاها الحرف المفتوح وبعد ألف هثل : " فصالا ، الطامة ". ثم المفتوح وليس بعده ألف مثل : صبر ، ظلم ". ثم المضموم مثل : " ويطوف ، فضرب ".

ثاني حروف نتفخم أحيانا ، وترقق أحيانا وهي :

أ – الألف اللينة : فإنها تتبع ما قبلها ، تفخم إذا كان ما قبلها مفخما مثل : " قال العصا " . وترقق إذا كان ما قبلها مرققا مثل : " كان ".

ب –اللام. من لفظ الجلالة " الله" ، تفخم إن وقعت بعد فتح أو ضم مثل : " قال الله ... عبد الله " . وترقق إذا وقعت بعد كسر مثل : " بسم الله " .

ت – الراء : وهي إما متحركة أو ساكنة ، والراء المتحركة لها ثلاثة صور حسب حركتها : و في الراء المفتوحة تفخم مثل : "ربكم ، روح " ، وتفخم

[1] انظر : النشر ١١٩/١ ، كفاية المريد ص٢١

إذا كانت مضمومة مثل : " قژوء " ، وترقق إذا كانت مكسورة مثل : "رجال ، مريئا " ، سواء كان الكسر أصلي مثل : "رجال"، أو عارض مثل : " وذر الذين " ، أو كانت الراء ممالة مثل : " مجراها ".

وأما الراء الساكنة فلها أربع صور : –

أ – الراء الساكنة بعد همزة الوصل تفخم دائما مثل : " وارحة ،اركض ".

ب – الراء الساكنة في وسط الكلمة تفخم إذا وقعت بعد فتح أو ضم مثل : " العوش ، القرآن ، الفرقان".

ج – أما الراء الساكنة بعد حرف مكسور فإنها ترقق نشا : فرعون . رمزية ". إلا في الحالات الآتية فإنها تفخم : ...

– إذا كانت واقعة بعد كسر عارض متصل مثل : " اوجع ، أو بعد بكسر عارض منفصل مثل : " إن م " : و بعد..كسر– منفصل لازم مثل : " الذي ارتضي".

– إذا جاء بعد الراء حرف من حروف الاستعلاء وهي : " خ– ص – . ض – غ – ط – ق – ط مثل : "قرطاس ، فرقة ، ارصادا، مرصادا "، بشرط أن لا يكون حرف الاستعلاء مكسورا ، فإذا كان مكسورا جاز التفخيم والترقيق للراء مثل : " فرق " في قوله تعالي : – " فكان كل فرق كالطود العظيم[١]

د – الزاء الساكنة المتطرفة (أي الواقعة في آخر الكلمة) فلها أحكام : –

[١] سورة الشعراء الآية:

– تفخم إذا كان قبلها حرف مضموم أو مفتوح مثل : " لم يتغيره ، انظر"، وترقق أذا كان قبلها مكسور مثل : " استغفره ". :عند الوقف علي الراء المتطرفة فلها أحكام : –

تفخم إذا كانت ساكنة أصلا مثل : " فلا تنهر " ، وتفخم إذا كانت مفتوحة مثل : " أمر " ، وأيضا تفخم إذا كانت ساكنة بعد ضم مثل : " فمن يكفره". وكذلك إذا كانت ساكنة وقبلها حرف ساكن وقبله حرف مفتوح مثل : " القدرة ". – ترقق إذا كانت ساكنة سكون عارض وقبله مكسور مثل : " لن نصبر " ، وكذلك ترقق إذا جاء قبلها " ياء ساكنة " مثل : " قديره ، نذير"، وكذلك إذا كان قبلها ساكن ، وقبل الساكن حرف مكسور

الثالث : – حروف ترقق دائما ، وهي باقي الحروف بعد حروف الاستعلاء ، ماعدا اللام ، والراء ، والألف اللينة كما مر .

أحكام الإدغام والإخفاء والإقلاب والإظهار

الإدغام : – معناه الإدخال ، يقال أدغمت اللجام في فم الفرس ، إذا أدخلته فيه . وفي الاصطلاح : خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين فيصيران حرفا واحدا مشددا ، فينطقان علي أنهما حرف واحد. مثل قولهم : " من يؤمن " ، فنجعل النون ياءا ، وقوله : " من واق " فتجعل النون واوا ، فإذا تلاقي الحرفان المثلان وجب الشام الأول في الثاني حكماء . وفائدة الإدغام تخفيف النطق على اللسان فلا يعود النفس المخرج مرة أخري طلبا للخفة على اللسان .

وأسباب الإدغام ثلاثة : -

١ - أن يتحد الحرفان مخرجا وصفة كالسباعين في : نصيب برحمتنا"، والميمين في قوله : " في قلوبهم مرض "..

٢ - أن يتفق الحرفان مخرجا ويختلفا صفة كالتاء مع الطاء في قوله : " ولتأت طائفة " ، والدال مع التاء في قوله : " تكاد تميز "

٣ - أن يتقارب الحرفان مخرجا فقط مثل : الدال والسين في قوله : " قد سمع"، أو يتقاربا صفة فقط كالتاء والثاء في قوله تعالي : " كذبت ثمود ". . .

حكم المثالين : -

هما الحرفان اللذان اتفقا مخرجا وصفة كالبا عين في قوله تعالي " اضرب بعصاك الحجر " . وينقسم المثلان إلي ثلاثة صور : -

- مثلان كبير : - وهو أن يكون الحرفان المثلان متحركين مثل : " فيه هدي ". وحكمه الإظهار عند حفص ، فلا يدغم الحرفان . -. مثلان صغير : وهو أن يكون الحرف الأول ساكنا ، والثاني متحركا مثل : " ربحت تجارتهم " ، وحكمه الإدغام عند الجميع ، إلا إذا كان الحرف الأول حرف مد مثل : " الذي يؤمن " ، " قالوا وهم) .لئلا يزول المد بالإدغام ، أو هاء سكت نحو : " ماليه هلك " جاز الإظهار إجراء للوصل مجري الوقف . - المثلان المطلق : أن يكون الحرف الأول متحركا ، والثاني ساكنا مثل : " زلتم ، ننسخ " . وحكمه وجوب الإظهار عند الجميع .

حكم المتقاربين :-

وهما الحرفان اللذان تقاربا مخرجا وصفة ، أو تقاربا في أحدهما دون الآخر وله ثلاثة صور :- – متقاربان صغير : أن يكون الأول ساكنا ، والثاني متحركا مثل :

" إن تبرأ ، قد سمع " ، وحكمه الإظهار عند حفص . – المتقاربان الكبير : وهو أن يكون الحرفان متحركين مثل : " عدد " سنين " . وحكمه الإظهار عند حفص . – المتقاربان المطلق : وهو أن يكون الحرف الأول متحركا ، والثاني: ساكتنا مثل : " عليك " (الياء والكاف) . وحكمه الإظهار للجميع .

حكم المتجانسين : –

وهما الحرفان اللذان اتفقا مخرجا واختلفا صفة . وله ثلاث صور : –

– متجانسان صغير : أن يكون الحرف الأول ساكنا والثاني متحركا نحو : " أثقلت دعوا الله"، و: "همت طائفة ". وحكمه الإظهار عند حفص إلا في خمسة مواضع يجب فيها الإدغام :

١– قوله تعالي : " قد تبين " فيدغم الدال في التاء .

٢ – يدغم التاء في الطاء نحو قوله تعالي : "همت طائفة".

٣ – يدغم الذال في الظاء نحو قوله تعالي :" إذ ظلمتم " .

٤ – يدغم الثاء في الذال نحو قوله تعالي : " يلهث ذلك ".

٥ – يدغم الباء في الميم نحو قوله تعالي :" اركب معنا ".

متجانسان كبير : وهو أن يكون الحرفان متحركين نحو قوله تعالي: " الصلاة طرفي النهار ". وحكمه الإظهار عند حفص – متجانسان مطلق: وهو أن يكون الحرف الأول متحركا والثاني ساكنا نحو قوله تعالي: "مبعوثون" . وحكمه الإظهار عند الجميع للميم . والباء وهما من مخرج واحد.

أحكام النون الساكنة والتنوين

النون الساكنة : هي النون التي لا حركة لها مثل : " منهاجا ، أنعمت ".

والتنوين : هو نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظا ولا تكتب خطا نحو : " غفورة ، عليه خبير". وللنون الساكنة والتنوين **أربعة أحكام** : –

الأول : الإظهار ومعناه : إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة . والنون الساكنة والتنوين يظهران في النطق بعد الحروف الآتية : الهمزة – الهاء – العين – الحاء – الغين – الخاء ، سواء جاءت بعد النون الساكنة في كلمة واحدة أو في كلمتين . **ومن الأمثلة علي ذلك** :

الهمزة : ينأون أو : كل أمن

الهاء : منهم أو : لكل قوم هاد

العين : أنعمت أو : سميع عليم

الياء : وانحر أو : عليم حكيم

الغين : فسينغضون أو : ورب غفور

الخاء : من خلاق أو : عليم خبير .....

الثاني : الإدغام ومعناه : تدغم النون الساكنة وكذلك التنوين في الحرف الواقع بعدها إذا كان واحدا من حروف كلمة: "يرملون ". ويكون إدغام بغنة مع الياء – والنون – والميم – والواو ، مجتمعة في كلمة الدينمو ، والأمثلة : –

من يؤمن – قوم يؤمنون

من نعمة – آمنة نعاسا

من مال – آيات مبينات

من وال – ولي ولا نصير

وإدغام بدون غنة ، ويكون إذا جاء بعد النون الساكنة والتنوين حرف اللام ، وحرف الراء والأمثلة : – من ربهم _ غفورا رحيما . من لدنه – سائغاً للشاربين

الثالث : الإقلاب ومعناه : جعل حرف مكان حرف آخر مع الغنة وإخفاء الحرف الأول ، فإذا وقعت النون الساكنة أو التنوين بعد حرف الباء وجب إخفاء اللون مع الغنة وقلبها ميما والأمثلة : أنبئهم – من بعد

من بعد زوج بهيج – لنسفع بالناصية

الرابع : الإخفاء ومعناه : نطق حرف النون الساكنة أو التنوين بصفة بين الإظهار والإدغام ، وينطق بهذه الصفة إذا جاء بعد النون الساكنة واحد من الحروف الباقية بعد حروف الإظهار والإدغام والإقلاب ، وهي خمسة عشرة حرفا : الصاد – الذال

– الثاء – الكاف – الجيم – الشين – القاف – السين – الدال – الطاء – الزاي – الفاء – التاء – الضاد – الظاء ، ومن

ينصركم – ريحاً صرصرا

لينذر – سراعا ذلك

من ثمره – رزق كريم

انطلقوا – من قبل .....الخ

حكم الميم والنون المشددتين

حكم النون والميم المشددتين وجوب الغنة ، والغنة : صوت لذيذ شبه صوت الغزالة ، ومخرجه أقصي الأنف ، ولا دخل للسان فيه ، فنطق الميم والنون المشددتين يكون بغنتهما بمقدار حركتين بحركة الإصبع قبضا وبسطا، والأمثلة : –

: " إن الله فالق الحب والتوي". : " يعدهم ويمنيهم".

: " ثم يميتكم "، " أمتكم ".

أحكام المد والقصر

– **المد معناه** : إطالة الصوت بحرف المد إلى أكثر من حركتين عند قناة همز أو سكون .

والقصر : إثبات حرف المد قدر حركتين ، وحروف المد هي : الواو – الألف – الياء . – فالواو تكون ساكنة مضموم ما قبلها مثل : " قوا أنفسكم ".

والياء تكون ساكنة ومكسور ما قبلها مثل : " وفي أنفسكم

والألف تكون ساكنة مفتوح ما قبلها مثل : " السماء ". – حروف اللين وهي الواو والياء إذا انفتح ما قبلها مثل : " بيت – خوف " .

أسباب المد : – له سببان :

الأول : لفظي ، وهو إما إثبات همزة بعد حرف من حروف المد مثل : " إنا أعطيناك الكوثر"، " والسماء بناها " ..... ، وإما أن يأتي بعد حزوف المد سكون عارض أو لازم مثل : " الطامة ، الرحمن ".

الثاني : سبب معنوي ، وهو المد لقصد المبالغة مثل مد "لا" في كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " فتمد طلبا للمبالغة في نفي الألوهية عما سوي الله .

أنواع المد : –

١ – المد الطبيعي أو الأصلي : وهو المد الذي لا يمكن نطق الحرف إلا به د ولا يكون له سبب ، بل مجرد وجود حرف المد في الكلمة فحقه أن يمد حركتان مثل : قال – يقول – قيل .

٢ – المد المتصل : وهو أن يكون بعد حرف المد همز متصل به في كلمة واحدة مثل: جاء – السماء – سوء . وحكمه وجوب المد عند جميع القراء والتفاوت بينهم يكون في مقدار المد .

٣ – المد المنفصل : وهو أن يأتي بعد حرف المد همز منفصل عنه ، أي يكون حرفت المد في كلمة ، والهمز في كلمة أخري مثل : إنا أنزلناه : بما أنزل . وحكمه جواز المد والقصر ، ومقدار مده عند حفص أربع أو خمس . حركات. ، ويجوز قصره أيضا .

٤–مد البدل : وهو أن يتقدم الهمز على حرف المد في كلمة واحدة ، ولا يكون بعد حرف المد همز ولا سكون مثل : ءامنوا – إيمانا – أوتوا . وحكمه عند حفص القصر فقط .

٥– المد العارض للسكون : وهو أن يقع السكون العارض بعد حرف المد واللين ، ويكون ذلك في حالة الوقف على الكلمة نحو : " العالمين ، ينفقون ، الصيف ، خوف ... " . وحكمه جواز مده وقصره لجميع القراء . .

٦– المد اللازم : وهو أن يكون الحرف التالي لحرف المد ساكنا سكونا أصليا ، وأن يكون الحرفان في كلمة واحدة ، وينقسم المد اللازم إلي نوعين : –

أ– مد لازم كلمي : وهو أن يقع الحرف الساكن بعد حرف المد في كلمة واحدة ، ويسمي مد لازم مثقل إذا كان الحرف الساكن مشددا مثل : " الطاقة ، الحاقة ، الصاخة ....."، أو "يسمي مد لازم كلمى مخفف إذا كان الحرف الساكن مخفف مثل كلمة : " والان " ، وهي في موضوعين من سورة يونس .

ب – مد لازم حرفي : هو أن يقع بعد حرف المد سكون أصلي ثابت وصلا ووقفا في حرف هجاؤه علي ثلاثة أحرف ، وحروفه ثمانية مجموعة في (كم عسل نقص

) . ويسمي مد لازم حرفي متقل ، وهو أن يكون الحرف الساكن مدغما في حرف بعده مثل اللام في : " ألم"، أو يسمي مد لازم حرفي مخفف إذا وقع بعد حرف المد سكون أصلي، في حرف الهجاء مثل : " نون ، قاف ، ميم " . وحكم إلمد اللازم وجوب المد لكل أنواعه .

الوقف والابتداء

الوقف والابتداء من المباحث المهمة التي ينبغي تعلمها ، ودليله ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من أنه كان يقف على رؤوس الآيات، وكذلك ما ورد في معني قوله تعالي : " ورتل القرآن ترتيلا " ، فقد قال سيدنا علي رضي الله عنه : الترتيل هو تجويد الحروف ، ومعرفة الوقوف . ومن العلوم التي تجعل القاريء للقرآن يحسن وقوفه معرفة تفسير الآيات ومعناها ، وكذلك معرفة سبب النزول ، وعدد الآيات ، وعلوم اللغة وغير ذلك وفائدتة توضيح المعني .

والوقف معناه : قطع الصوت علي أخر الكلمة القرآنية زمنا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة .

والسكت معناه : قطع الكلمة المسكوت عليها عما بعدها من غير تنفس بنية القراءة ، ومقدار السكت حركتان .

والقطع معناه : قطع القراءة رأسا ، أي الانتهاء من القراءة .

أقسام الوقف :

١ – الوقف الاضطراري : وهو أن يقف القاريء على الكلمة مضطرا بغير إرادته ، وسببه : ضيق النفس ، أو نسيان كلمة ، أو سعال أو ضرورة وغير ذلك . وحكمه جواز الوقف لأنه لضرورة وإن أفسد المعني ، و لكنه يبدأ القراءة من كلمة يستقيم معها المعني. .

٢ – الوقف الانتظاري : وهو أن يقف القاريء علي الكلمة المعينة ، ليضم إليها ما جاء من قراءات أخري في نفس الكلمة ، وهذا الوقف لا يستقيم إلا .... للقاريء الذي يعرف القراءات المختلفة .

٣ – الوقفة الاختباري : وهو أن يقف القاريء على كلمة ليست محلا للوقف بغرض الاختبار للطالب ، ويكون بسبب الاختبار لمعرفة حكم اتصال الكلمة أو انفصالها ، أو الحذف والإثبات كالوقف علي قوله تعالي : " إن شجرت الزقوم فيطلب المعلم من الطالب أن يقف علي " شجرت " هل تنطق بالتاء أو بالهاء.

٤ – الوقف الاختياري : وهو الوقف الذي يتم باختيار القاريء من غير سبب وينقسم إلى : –

أ– وقف تام : وهو الوقف علي ما تم معناه من الكلام ، ولم يتعلق بما ته لا لفظا ولا معني ، ويعد أفضل الوقوف ، ويكون على رؤوس الأيات ، وعند انقضاء القصة وغير ذلك .

ب – الوقف الكافي : وهو الوقف علي ما تم معناه في ذاته لكنه تعلق ما بعده معني لا لفظا ، ومثاله : الوقف علي قوله تعالي : " إن الذين كفروا سواء عليهم وأنذرتهم أم لم تنثرهم لا يؤمنون " ، أو تقف علي قوله بعدها :

ختم الله علي قلوبهم " ، أو تقف علي قوله تعالي : " في قلوبهم مرض "، أو قوله تعالي : " فزادهم الله مرضا " ، ولو وصلت كل ذلك ووقفت علي قوله : " بما كانوا يكذبون " ، كان أفضل مما سيق .

ج – الوقف الحسن : وهو الوقف على ما تم معناه في ذاته ، وتعلق بما بعده لفظا ومعني ، مثل الوقف علي قوله : " الحمد لله ، ثم يقول : " رب العالمين . فلو وصل كان أتم .

د – الوقف القبيح : وهو الوقف علي ما لم يتم معناه في ذاته ، وتعلق بما بعده لفظا ومعني ، كالوقف على المبتدأ دون الخبر ،. أو على الفعل دون الفاعل ، أو على المضاف دون المضاف إليه ، مثل الوقف علي قوله : : الحمد " ثم يقول : " الله " . أو يقف علي كلمة تغير معني الآية كالوقف علي قوله تعالي : "لا تقربوا الصلاة ". أو الوقف علي قوله تعالى : " وما من إله". وغير ذلك من الوقوف الشنيعة ، بل من تعمد هذا الوقف واعتقد ذلك فهو كافر . . .

والابتداء معناه : الشروع في القراءة ويجب على القاريء أن يراعي حسن الابتداء ، سواء كان يعد وقف من الأنواع السابقة ، أوكان أول القراءة والابتداء نوعان: –

١ ابتداء حسن ، يجوز الابتداء به . –

٢ والثاني ابتداء قبيح ، لا يجوز الابتداء به ، ومثال ذلك أن يبتديء القراءة بقوله تعالي : " يد الله مغلولة " ، أو قوله تعالي : " عزير ابن الله " وما أشبه ذلك من الابتداء الذي يغير معني كلام الله تعالي ، لذلك يلزم القاريء أن يكون متدبرا فاهما لما يقرأ حتي يختار الوقف والابتداء الذي يتم معه المعني ، ويفهم معه السامع المعني الصحيح المقصود من كلام الله سبحانه .

علامات الوقف في المصحف : -

- "م": هي علامة للوقف اللازم ، لأن عدم الوقف عليه ، ووصل الكلام يوهم بمعني خلاف المراد ، وقد يكون معني فاسدا ، ومثال قوله تعالى : " إنما يستجيب الذين يسمعون والموتي يبعثهم الله " فالذي لا يقف علي قوله : " يسمعون " ، يجعل قوله تعالي : " والموتي " فاعلا ، أي يسمعون ويستجيبون لأوامر الله تعالي كالأحياء ، وهذا المعني خلاف المراد .

- "ج": وهي علامة الوقف الجائز ، المستوي الطرفان.، أي جائز الوقف ، وجائز الوصل للكلام ، ومثاله كقوله تعالي : " في قلوبهم مرض " فيجوز أن نقف هنا ، ويجوز الوصل : " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا .... ".

- "لا" : معناها لا تقف ، فالوقف ممنوع لشدة ارتباط الكلام ببعضة ،كقوله تعالي : "لا تقربوا الصلاة " ، ولا يصلها بما بعدها : " وأنتم سكاري ". أو كقوله تعالي : " الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون . سلام عليكم ادخلوا الجنة .... " فتوجد

"لا" علي : " طيبين " ، أي لا تقف عليها ، وكذلك علي " عليكم " ، أي لاتقف وصل الكلام حتي يتم المعني ويستقيم المراد .

– (..) ثلاث نقط ، ويسمي وقف المراقبة ، ويكون علي كلمتين متجاورتين للدلالة على أن القاريء إذا وقف علي كلمة ، فلا يقف علي الأخري ، ومثاله قوله تعالي : " لا ريب فيه هدي للمتقين ".

– (س) : وتسمي علامة السكت الخفيف ، فيقف القاريء عليها بدون تنفس ، وهي عند حفص في أربع مواضع : – – علي كلمة (عوجا) في الكهف في قوله : " الحمد لله الذي أنزل علي عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما"... ".

– علي كلمة (مرقدنا) في يس ، في قوله : " يا ويلنا من بعثتا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن ... – وعلي النون في سورة القيامة : " وقيل من راق ". – وعلي اللام في قوله تعالي : " كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون ". [1]

[1] انظر في قواعد التجويد : النشر في القراءات العشر ، الاتقان ٢٣٠/١ ، كفاية المريد في علم التجويد محمود برانق ، تهذيب الدور الخليلية في شرح الاحكام القرآنية د/علام محمد علام

الفصل السادس

دراسة تطبيقية في تفسير جزء عم

سورة النبأ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ

مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)"

نزلت بمكة وسميت بالنبأ ، لأن الله سبحانه ذكر هذا اللفظ في أول السورة في قوله تعالي : " عم يتساءلون عن النبأ العظيم "، ومعناه : يوم القيامة ، وقيل : القرآن ، فكان الكفار يتساءلون عن هذا اليوم منكرين له ، ومستبعدين لوقوعه. والسورة تتحقق فيها صفات القرآن المكي من قصر الآيات وشدة نبرتها ، كما أن موضوعها في إثبات البعث والحساب والرد علي منكرية ، وتتكرر صيغ التهديد والوعيد : " كلا سيعلمون ".

سبب نزول الآيات : –

فقد روي أبو صالح عن ابن عباس قال : كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتتحدث فيما بينها ، فمنهم المصدق ومنهم المكذب به فنزلت : "عم يتساءلون ". [1] وهذا السبب رجح أن الذين يتساءلون هم الكفار ، لا المؤمنون كما ورد في بعض الأقوال .. .

موضوع السورة ومعناها الإجمالي : –

الموضوع العام للسورة هو إثبات يوم القيامة ومحاسبة الخلائق ردا علي إنكار المشركين له ، وقد عالجت السورة هذا الموضوع من خلال عدة صور مترابطة محكمة متكاملة : –

[1] القرطبي ٦٩٦٠/١٠

١- عرضت أولا كمقدمة للموضوع تساءل المشركين، وإنكارهم لهذا اليوم ، عن طريق سؤال لهم فيه استهزاء وشك في ذلك اليوم ، ثم جواب منه سبحانه، يتضمن تهديدا شديدا وردعا لهم : " عم يتساءلون عن النبأ العظيم .... كلا سيعلمون ... "

٢ – ثم بدأ الله سبحانه يناقشهم مناقشة عقلية ويستدل لثبوت هذا اليوم ، وأن بعثهم وحسابهم سهل هين عليه ، وذلك لأنه خلق الأشياء الغريبة والأمور العظيمة الدالة علي كمال قدرته وعلمه ، وأنه فعال لما يريد لا يعجزه ش يء من أمر البعث والقيامة وغيرهما ، فقد خلق الأزواج كلها ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والسماء والأرض ، وأنزل المطر فأخرج الحب والنبات والجنات ، فمن فعل كل ذلك قادر علي البعث والقيامة وكل شيء . .

٣ – ثم بعد ثبوت قدرته سبحانه علي كل شيء ومنها القيامة والبعث ، بدأ يعرض عدة صور لما يحدث فيها :

أ- صورة حية شديدة ورهيبة تقشعر منها الأبدان وتشيب لها الولدان ، وتطير لها القلوب والعقول ، وهي ما يحدث للكفار من عذاب ونكال في هذا اليوم العصيب ، فوصفت الآيات ما يحدث فيه بالتفصيل بداية من نفخ الصور إيذانا ببداية هذا اليوم ، ثم مجيء الناس للحشباب أفواجا ، وما يحدث فيه للسماء ، وللجبال ، ثم انتقلت الأحداث بعد ذلك إلى النار لتصوير ما يحدث الأهلها من نكال فهم خالدون فيها ، ليس لهم طعام ولا شراب إلا الحميم والغساق ، ثم استرجعت الآيات أيام الدنيا ، وبينت أن هذا الخزي موافق الطغيانهم وأعمالهم في الدنيا ..... الخ.

ب – ثم عرضت الآيات في المقابل لتتضح الصورة ما يلقاه المؤمنون من نعيم وكريم ونضارة وفوز في الجنان ، جزاء أعمالهم الطيبة في الدنيا . .ج – ثتم عرضت الآيات مشهد آخر يدل على عظمة الله سبحانه وأن له الملك في هذا اليوم فلا حكم لغيره ولا شفاعة حتي يقطع طمع الكفار و رجاءهم في النجاة ، فالجميع يقف أمام الله سبحانه الملائكة وجبريل ، والبشر حتي أشراف الملائكة وأعظمهم لا ينطق واحد منهم ولا يتكلم فالجميع خائف ينتظر عفو الله وكرمه ، فإذا كان المقربون والملائكة علي هذه الصورة فكيف بغيرهم من العصاة والمشركين

٤ – ثم ختمت السورة بتقرير هدفها وموضوعها الأساسي وهو إثبات هذا اليوم وأنه قريب ، كل إنسان يلقي إليه كتاب أعماله بخيره وشره ، يتمني أنه غير مخلق أو أنه كان ترابا .

القراءات في السورة : –

– قوله تعالي : " كلا سيعلمون " ، قراءة العامة بالياء ، لأن الكلام من أول السورة خبر وليس خطابا، وقرأ ابن عامر والحسن بالتاء : " كلا ستعلمون " علي الخطاب بغرض الالتفات .

– قوله تعالى : " وفتحت السماء " ، فيها قراتان بتشديد التاء، وقراءة بتخفيفها .

– قوله تعالي : " لابثين فيها أحقابا " ، قراءتان : لابك : اسم فاعل ، و " لبث " صفة مشبهة ، ومعناها : ماكث ومقيم في النار ، ومعنى القراءتان واحد ، وقيل :

" لبث " أقوي في المعني. لأن اللابث من وجد منه اللبث مطلقا ، وأما " لبث " الذي يجثم في المكان ولا ينفك عنه . [1]

– قوله تعالى : " إلا حميما وغساقا " ، قراءتان : " غساقا " بتخفيف السين اسم مصدر ومعناه : ما يسيل من صديد أهل النار : وقريء غسانا بتشديد السين صيغة مبالغة على وزن فعال مثل : شراب وضراب .

– قوله تعالي : " لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا " ، قريء : " كذابا" بالتخفيف ، والتشديد ، وهي تفيد نفي المبالغة في الكذب ، التي كانت تحصل في الدنيا بعد شرب خمرها المذهبة للعقل ، وأما خمر الأخرة فلا يذهب معها العقل لذلك لا يترتب علي شربها اللغو والكذب .

– قوله تعالى : " رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا " في الآية ثلاث قراءات : –

١ – الجر في "رب " ، و " الرحمن "، علي أنهما بدل كل من " ربك " في الآية السابقة : " جزاء من ربك ...".

٢ – الرفع ل "رب " ، و " الرحمن "، وله أوجه في الإعراب :

إما أن يكون "رب " مبتدأ ، و " الرحمن " خبر، أو "رب " مبتدأ ، و " الرحمن " صفة له، والخبر" لا يملكون منه خطابا " ، أو يضمر مبتدأ والتقدير : هو رب، وهو الرحمن . ..

[1] انظر الكشف ٢٠٩/٤

٣ – وقريء بالجر " لرب " ، علي البدل من " ربك " ، والضم للرحمن علي أنه مبتدأ وخبره "لا يملكون "وحسن هذه القراءة بعض العلماء لأن "رب " قريب من المخفوض، وأما." الرحمن " فبعيد منه . [١]

تحليل لبعض الآيات : –

– قوله تعالي : " عم يتساءلون ، عن النبأ العظيم " : لفظ الآية سؤال واستفهام ، ولكن المعني المقصود منه تفخيم الأمر وتعظيمة ، كأن يوم القيامة والبعث واضحا ويقيني لا يحتاج إلي سؤال ومجادلة .

فإنه أمر عظيم يعجز العقل عن الإحاطة بما فيه. وفي معني " النبأ العظيم " ثلاث أقوال . قيل : القرآن ، وقيل : النبي صلي الله عليه وسلم ، وقيل : البعث والقيامة ، والراجح هو الأخير لأن سياق السورة في إثبات هذا اليوم والرد علي الجاحدين له.. و"عم" أصلها (عن ما) وأدغمت النون في الميم وحذف الألف ومن أسباب ذلك : اشتراك الحرفين في الغنة ، وقيل : حذف الألف اور تفرقة بين معني " ما " في حالة الخبز، و " ما " في حالة الاستفهام ، وقيل : حذف الألف لاتصالها بحرف الجر كأن " ما " حرف منها ، وقيل : حصل الإدغام وحذف الألف للتخفيف في الكلام لتداول ذلك وكثرته فيه . [٢]

– قوله : " كلا سيعلمون "، " كلا " إما أن يكون للردع والزجر لهم . في نفي الكلام السابق ، ويجوز هنا الوقف عليها ، وقيل : بمعني حقا سيعلمون عاقبة

---

[١] انظر التفسير الكبير ٢٣/٣١

[٢] المصدر السابق

تكذيبهم . وتكرار التهديد لتأكيده ، والعطف "ب ، ثم " يفيد بأن الوعيد الثاني غير الأول وأشد منه .

– ثم بدأ يعرض البراهين العقلية والدلائل الحسية المثبتة لأمر البعث والقيامة ، فعدد سبحانه مخلوقاته العظيمة المتعددة التي تثبت أنه قادر علي جميع الممكنات عالم بجميع المعلومات ، فإذا ثبت هذان الأصلان ثبت القول بصحة البعث ، وأثبت سبحانه هذين الأمرين بأن عدد أنواعا من مخلوقاته الواقعة على وجه الأحكام والإتقان؛ خلق الأرض والجبال ، والناس وصفاتهم، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والسموات السبع ، ونزول المطر ، وإنبات الزرع .... إلخ فحدوث هذه المخلوقات العظيمة وتغيرها تدل على قدرته سبحانه المطلقة ، وإحكامها ، وإتقانها تدل على علمه الشامل ، فإذا ثبت هذا وأنه سبحانه الخالق لهذا الكون من العدم ، ثبت بذلك .

قدرته على تخريب الدنيا بسمائها وأرضها وإيجاد الآخرة. – " ألم نجعل الأرض مهادا " : أي ممهدة صالحة للسكن والزرع ، فالأرض للخلق كالمهد والفراش للصبي . وثبتها بالجبال " والجبال أوتادا " حتي لا تتزلزل .

– " وخلقناكم أزواجا " ، قيل : ذكر وأنثي ، وقيل : أصنافا وأضدادا : حسن وقبيح ، طويل وقصير ، وغني وفقير ، صحيح ومريض ، أسود وأبيض ، وهذا دليل ظاهر علي كمال القدرة ونهاية الحكمة ، وكذلك ليتحقق الإمتحان والإبتلاء للناس ، فيتعبد الفاضل بشكر نعم الله سبحانه ، ويتعبد المفضول وهو الفقيرة

والمريض، والقبيح بالصبر على قدر الله ، فالإنسان يعرف قدر الصحة عند المرض ، وقدر الشباب عند الشيب وقدر الأمن في حالة الخوف ..... الخ.

– " وجعلنا نومكم سباتا " ، السبت بمعني القطع ، وسمي النوم قطعا : لأنه متقطع وليس دائما ، فإنه بمقدار حاجة الإنسان للراحة ، كذلك لأن النوم يقطع تعب الإنسان ويزيله ، أو لأن النوم خفيف يمكن للإنسان قطعه والاستيقاظ في أي وقت .

– " وجعلنا الليل لباسا " : لما كان الليل يغشي الناس بظلمته فتغطى ظلمته كل الكون سماه لباسا كالذي يتغطي به الإنسان ، وكذلك لأن اللباس زينة ، فالليل كذلك راحة للأبدان وزيادة في نشاطها وجمالها وتكامل قواها الحسية والحركية .

– " وأنزلنا من المعصرات ماءا ثجاجا " ، في معني المعصرات ثلاثة أقوال : – قيل : هي السموات ، فالمطر ينزل من السماء .

– وقيل : هي الرياح ، لأن الرياح سبب لإثارة السحب وتجمعها . – وقيل : هي السحب ، ويؤيده قول أهل اللغة، ففي الصحاح : المعصرات السحائب تعتصر بالمطر ، وأعصر القوم أي أمطروا ، والمعصر : الجارية إذا قاربت وقت البلوغ وهو الحيض ، ويؤيد ذلك قوله تعالي : " الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فتري الودق يخرج من خلاله..". [1] ومعني ثجاجا : أي منصبا يتبع بعضه بعضا ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :

[1] سورة الروم الآية : ، وانظر زاد المسير ١٦٢/٨

" أفضل الحج العج والثج "، والعج : رفع الصوت بالتلبية ، والثج : هو كثرة انصباب دماء الهدي .

– "لنخرج به حبا ونباتا" ، الحب : ما يأكل الناس كالقمح والشعير ، والنبات : الحشيش والعشب مما تأكل الأنعام ، والجنات : البساتين الملتفة من شجر الفواكه وغيرها ، ورتب سبحانه هذه الزروع حسب أهميتها فبدأ بغذاء الإنسان ثم الحيوان ثم الفواكه لأنها ليست .. . ضرورية مالية مشابهة .

وبعد أن أثبت سبحانه بالدلائل العقلية والحسية قدرته علي البعث والقيامة ، عرض ما يحدث فيها من فظائع وأهوال : " إن يوم الفصل كان ميقاتا، يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ، وفتحت السماء فكانت أبوابا ، وسيرت الجبال فكانت سرابا ، إن جهنم كانت مرصادا ، للطاغين مابا "

– قوله تعالي : " لابثين فيها أحقابا " ، الحقب مدة من الزمن ، فتدل الآية على أن الكفار سيخرجون من النار بعدها ، ولكن هذا غير . مراد لأنهم في النار خالدين وتأويل ذلك من وجوه :

– أن الحقب : المراد به التتابع كل ما مر حقب تبعه آخر إلى ما لانهاية.

– وقيل : يلبثون فيها أحقابا لا يذوقون فيها إلا الحميم والغساق ،والحميم : الماء الحار ، والغساق : ما يسيل من صديد وقيح أهل

النار ، فالأحقاب هنا توقيت لنوع العذاب لا لأصله .

– وقيل : إذا سلمنا بظاهر الآية بأن العذاب في النار له نهاية ، فإن ذلك دلالة مفهوم ، فتتعارض مع منطوق آيات أخري كقوله تعالي " : " خالدين فيها أبدا"، فيقدم المنطوق علي المفهوم . – قوله تعالي : " لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا "، قيل البرد : هو النوم ، وقيل : الراحة ، وقيل : برد كل شيء وطيبه . فالنار لا يبان موت فيها ، وكذلك الجنة لا نوم فيها .

الموت فيها ، وكذلك ثم عرض الله سبحانه وتعالي صورة السعداء في هذا اليوم بعد عرضه المشهد الكفار وما نالهم من عذاب ، فبين ما أعد لهم تعالي من الكرامة . والتعيم المقيم بعد فوزهم من الهلاك ، ثم فصل هذا الفوز بعد الاجمال ، :حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا " ، والكواعب : الحور النواهد ، أي أن ثديهن لم يتدل " فهن أبكار ، والأتراب : من هم في سن واحدة .

– " وكأسا دهاقا": وهي المملوءة أو المتتابعة ، أو الصافية ، والمقصود بالكأس : هي الخمر .

– "لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا "، أي بعد شرابهم لخير الجنة، فلا تذهب عقولهم، ولا يحدث باطل، ولا فحش، ولا كذب كما يحدث ولمن يشربها في الدنيا .

ما يستفاد من الآيات : –

– إثبات يوم القيامة، وما فيه من أنواع النكال والعذاب للكفار ، وفي المقابل ما أعد الله للأبرار من نعيم وكرامة لا تخطر علي بال .

٢- بيان دلائل عظمة الله سبحانه وقدرته وحكمنه المطلقة ، المتمثلة في هذا الكون المشاهد من سماء وأرض ، وليل ونهار ، وزروع وثمار ، وحيوان وإنسان وغير ذلك من مظاهر عظمته سبحانه .

٣ - أن أمر الحساب والآخرة الله وحده سبحانه ، فلا شفاعة لأحد إلا بإذنه ، ولا خلاص للعبد من العذاب إلا بعمله وكسبه .

٤- الإشارة إلي نعم الله غير المحصورة علي عباده من خلقهم أولا ، ثم تمكينهم في الأرض ، ثم تسخير الكون وتمهيده لمصالحهم ومعاشهم ، ثم قبل ذلك أرسل الرسل لهم، وأنزل الكتب رحمة من الله بعباده لتذكرهم الآخرة وتعرفهم هدفهم، فيفوز من يكتب له الفوز بالطاعة ، ويعرض من كتب له الشقاء فيكون مصيره النار.

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦) أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ

مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)

ملامح الخطاب المكي في السورة : –

السورة مكية وسميت بالنازعات لأن الله سبحانه ذكر هذا اللفظ في" أول آية ، ويظهر في السورة ملامح الخطاب المكي وأهدافه ، فآياتها قصيرة فيها لهجة قوية وجرس شديد ، وتهديد ووعيد ، لمن أنكر البعث وكذب بالقيامة كما أن فيها قصص السابقين المعرضة بعقاب من سار على نهجهم ، واقتفي آثارهم .

موضوع السورة ومعناها الإجمالي : –

تعالج السورة أهداف الوحي في الفترة المكية ، ومن أول هذه القضايا إثبات البعث واليوم الأخر ، وذكر أدلته المختلفة مع تهديد ووعيد المكذبين بها ، وعرضت السورة هذه القضية من خلال عدة صور : –

١ – القسم من الله سبحانه بالمخلوقات العظيمة – الملائكة ، والنجوم ، والخيول – علي أن هذا اليوم حق وكائن لا محالة ، وفي القسم تأكيد لهذا اليوم وبخاصة أنه من الله سبحانه ، كما أنه قسم بالمخلوقات العجيبة ، وفيه إشارة علي أن المبدع لذلك لا يصعب عليه إعادتهم وحسابهم ، الا

٢ – ثم وصف لحال الناس في هذا اليوم العصيب ، فترجف الأرض والجبال بعد النفخ ، والقلوب واجفة حزينة ، والأبصار ذليلة ساكنة..

٣ – عرض تساءل الكفار واستهزائهم بالبعث بعد الموت والرد عليهم أذا كنا عظاما تخرة ... فإنما هي زجرة واحدة ، فإذا هم بالساهرة ... ".

٤– عرض قصة لأحد الطغاة والجبابرة المكذبين بالرسل ، فوصف شدة عتوه وبغيه ، ثم بيان عاقبته ونهايته ، وفي ذلك تعريض للمشركين من قريش حتي يخالفوا هذا الطريق فيسلموا من عقابه ، وفي القصة أيضا تسلية النبي صلي الله عليه وسلم ، ليصبر على أذي قومه .

٥– الإشارة إلي مخلوقات الله العظيمة ، التي أحدثها بغير مثال ، وفي ذلك تنبيه على أنه قادر على إعادة الإنسان وحسابه . :" أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ...."

٦–بيان عاقبة المؤمن بالآخرة والمطيع للرسل ، وعقاب من كذب وأدير " فأما من طغي وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوي ، وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فإن الجنة هي المأوي ".

٧ – بيان ضلال الكفار وسوء فهمهم فإنهم بدل سؤالهم عما ينفعهم وينجيهم في الآخرة يسألون عن وقت الساعة وميعادها ، ثم بيان أن الله وحده هو العالم بوقتها ، وأنها قريبة ، وأن الدنيا لا تساوي شيئا بالنظر إلى الأخرة : " يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها ، إلي ربك منتهاها ... كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ....".

قراءات السورة : –

– قوله تعالى : " أئذا كنا عظاما نخرة"، في : " نخرة " قراءتان:

أ–" نخرة": على وزن " فعل "

پ – " ناخرة " على وزن " فاعل ". واختلفوا العلماء في الفرق بينهما فقيل :

– هما لغتان بمعني واجد ، فقال : نخر العظم إذ بلي وتفتت. و – وقيل : العظام النخرة : هي البالية التي تفتت عند لمسها ، وهي –– بخلاف العظام الناخرة : وهي العظام الفارغة التي يدخل فيها الريح فتصوت . واختار أبو عبيد القراءة الأولي لأنها تتناسق مع رؤوس الآيات الأخري : " الحافرة ، ناضرة ، ساهرة ..."، ولأن الآثار التي ورد فيها ذكر العظام قد وصفت بالنخرة ، وليس بالناخرة ولأن صيغة فعل أبلغ من فاعل مثل : بخل وباخل ، وطمع وطامع ، ولبث ولابث . [1] والصواب أن كلا القراءتين حق لأنهما متواترتان . .

– قوله تعالى : " إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوي"، في " طوي " قراءتان : .

– " طوي " بالتنوين على أنها مصروفة ، و" طوي " بدون تنوين علي أنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، أو للعلمية والتأنيث ، أو أنه علم علي وزن الفعل . ومعني طوي : إما أنه اسم وادي بين بار مصر والشام مر به موسي عليه السلام ، أو أنه " طوي " بمعني " ثني " ، أي ناداه ربه مرتين . [2]

– قوله تعالي : " فقل هل لك إلي أن تزكي"، في " تزكي" تمت قراءتان : –

[1] انظر التفسير الكبير ٣٦/٣١
[2] انظر القرطبي ٤٢١٥/٦

أ- بتخفيف الزاي علي أن أصلها " تزكي " بحذف التاء الأولي .

ب – بتشديد الزاي " تزكي " لأن أصلها " تتزكي"، وأدغمت التاء الثانية في الزاي . ومعني " تزكي " : أي أدعوك إلى التوحيد والطهارة ، والزكاة تشمل كل ما يتصل بالدين مما يجعل النفس زكية طاهرة .

وقيل : القراءتان بمعني واحد ، وقيل : " تزكي " بالتشديد أي تتصدق بالصدقة ، وبالتخفيف معناها تكون زكيا. طاهرا.

ولذلك اختار البعض قراءة التخفيف لأن موسى عليه السلام دعي . فرعون إلى الطهارة من الشرك والطغيان لا إلى الصدقة . [١]

– قوله تعالي : " إنما أنت منذر من يخشاها " ، في " منذر " قراءتان :

بالتنوين وبدون تنوين : " منذر ، ومنذر " . والأصل فيها التنوين فإن ما كان على وزن فاعل ومفعل إذا كان كل واحد منهما معناه المستقبل أو الحال ينون ، وأما إذا أريد بهما الماضي فلا يجوز فيه إلا الإضافة مثل : " منذر زيد أمس " . وأما قراءة عدم التنوين فسببها الخفة في النطق على أنها مضاف إليه ، وكذلك جاز الوجهان مثل : " بالغ أمره "، " موهن كيد الكافرين " . [٢]

تحليل بعض الآيات : –

[١] انظر القرطبي ٤٢١٥/٦
[٢] انظر التفسير الكبير ٥٤/٣١

– قوله تعالي : "والنازعات غرقا، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا ، فالسابقات سبقا ، فالمدبرات أمرا " ، هذه الأشياء الخمسة تحتمل أن تكون صفات لشيء واحد: – قيل : هي الملائكة تنزع الأرواح من الأجساد ، فتخرجها ، فتسبح . في سيرها ، فتسبق إلي ما أمروا به ، فتدبر أمور العباد وقيل : أقسم سبحانه بالخيل التي تنزع في أعنتها ، فتخرج من دار الإسلام إلي دار الحرب ، فتسبح في جريها ، فتسبق. إلي غايتها : فتدبر أمر النصر على الأعداء.

– وقيل : أقسم بالنجوم التي تذهب من المشرق إلى المغرب ، وتخرج من برج إلي برج ، فتسبح في الفلك ، وتسبق إلي تدبير أمر الزمن والحساب بتقدير الله سبحانه . ريم ال ش

– وقيل : أقسم بالأرواح نفسها التي تنزع بشدة عند الاحتضار فتنشط في خروجها ، و تسبح في الجو فتسبق إلي ملكوت الله سبحانه .

– وقيل : هي صفات للغزاة والمحاربين في سبيل الله .

– وقيل : هي صفات القلوب التي ترجع إلى الله سبحانه ، فهي تنزع عن الشهوات والتعلق بغير الله فترجع إلى الله سبحانه ، ثم تنشط في المجاهدة والعبادة ، فتسبح في مراتب الطاعة ومقامات الإيمان فتتسابق وتتفاوت في مراتبها حسب جهادها ، ثم تصل بعد ذلك إلى أعلى المراتب فتصل إلى عالم الملائكة .[1] ولفظ الآية محتمل الكل هذه الوجوه . وان كانت عن الساعة والأشياء الخمسة السابقة أقسم الله بها ، ثم اختلفوا العلماء في المقسم عليه :

[1] المصدر السابق

– قيل : جواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ، والدليل عليه قوله تعالي بعد القسم : " أئذا كنا عظاما نخرة ، وقيل : أقسم علي أنه سيحدث نفختين ، تقديره : لننفخن في الصور نفختين ، ودليله :

– يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة". وقيل : أقسم علي أن القيامة واقعة ، ودليله قوله تعالي : " والذاريات ذروا .... إنما توعدون لواقع"، وقوله :

" والمرسلات عرفا .... إنما توعدون لواقع .... " . – وقيل : جواب القسم : قلوب يومئذ واجفة . وقيل : "هل أتاك حديث موسى" ، وقيل : " إن في ذلك لعبرة . والراجح القول الأول ، لأنه أقرب مذكور للقسم ، ولأن سياق السورة في إثبات البعث والنشور . – قوله تعالي : " يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة " ، قال ابن عباس . وغيره رضي الله عنهم : الراجفة : النفخة الأولي ، والرادفة : النفخة الثانية تتبعها . وقيل : الراجفة تزلزل الأرض ، والرادفة اندكاكها وذهابها. ولا منافاة بين القولين ، فالقول الثاني مترتب علي الأول – قوله تعالي : " أنا لمردودون في الحافرة"، هذا قول الكفار المنكرين للبعث ، فهو استفهام المقصود به الاستبعاد والإنكار للآخرة ، و " الحافرة " جاء في معناها أقوال :

– أي أنرجع إلي الحياة بعد الموت ؟ مثل قولهم : رجع فلان في حافرته ، أي رجع من حيث جاء .

– . وقيل : الحافرة ، الأرض التي تحفر فيها القبور ، أي تعود إليها خلقا جديدا ؟

– وقيل : الحافرة ، النار .

– قال تعالي : " فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة"، هذا رد من الله سبحانه على المنكرين للبعث. والجملة متعلقة بمحذوف تقديره : لا تستصعبوها فإنما هي زجرة واحدة ، وأكيدها بأنها واحدة لا تكرار لها فيقوم الأولون والآخرون ، كقوله تعالي : " وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر". والساهرة : هي الأرض المستوية .. البيضاء، سميت بذلك لأن السراب يجري فيها ، أو لأن صاحبها لا ينام خوف الهلكة، وقيل : هي أرض الدنيا ، وقيل : هي أرض المحشر، وهو الراجح لقوله تعالي: "يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا الله الواحد القهار". فأرض القيامة غير هذه الأرض لم يعمل عليها خطيئة . ويعد القسم على ثبوت البعث ، ووصف ما يحدث في القيامة من أهوال انتقل سبحانه إلي تقرير القيامة وإثباتها بطريق القصة المصورة لعاقبة المكذبين بها والمخالفين للرسل ، وفي القصة أيضا تسلية للرسول صلي الله عليه وسلم بحكاية ما حدث لإخوانه من الرسل مع قومهم فقال تعالي حاكيا قصة موسي عليه السلام مع فرعون : " هل أتاك حديث موسي إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوي ، اذهب إلى فرعون إنه طغي ، فقل هل لك إلي أن تزكي ، وأهديك إلي ربك فتخشي ، فأراه الآية الكبري ، فكذب وعصي ، ثم أدبر، يسعي ، فحشر فنادي ، فقال أنا ربكم الأعلي ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولي ، إن في ذلك لعبرة لمن يخشي ".

ووجه ارتباط قصة فرعون بإنكار الكفار للبعث يظهر من وجهين :

– إسراف الكفار في استهزائهم بالبعث والقيامة ، يتناسب مع عتو فرعون وإدعائه للألوهية ، فكما صبر موسي عليه السلام في دعوة فرعون ، فليصبر الرسول صلي الله عليه وسلم في دعوة الكفار .

– أن فرعون كان أقوي من كفار قريش ومع ذلك أخذه الله بشدة ، فليحذر كفار قريش . [1]

– قوله تعالي : " هل أتاك حديث موسي "، هل هنا بمعني قد ، أي . قد جاءك حديث موسي . وقيل : معناها " ما "، أي ما أتاك حديث موسي ولكن أخبرك به الوحي .

– قوله تعالي : " هل لك إلي أن تزكي، وأهديك إلي ربك فتخشي " ، هذا تلطف في الدعوة ورفق بالمدعو ، فدعاه علي هيئة سؤال الغرض منه العرض رفقا به كما تقول للمضيف : هل لك أن تشرفنا وتتزل عندنا ؟، ودعاه إلى كلمة واحدة وهي " تزكي " لأنها جامعة لكل خير ، ولكل رسالة الإسلام .. ثم قال : " وأهديك " .... فتخشي " ، أي أعرفك ما يكون سبب نجاتك وسعادتك فتصل . بذلك إلى الخشية ، وهي ملاك الخير ونهايته لأن من خشي الله أتي منه كل خير ولم يصدر منه الشر . ثم أيد موسي عليه السلام دعوته ورسالته بالحجة الواضحة والبرهان . فقال تعالي : " فأراء الآية الكبري " : وهي العصا واليد ، فقصة موسي مختصرة هذا فصلت في سور أخري .

---

[1] انظر التفسير الكبير ٣٨/٣١

ثم بين سبحانه وتعالي رد فرعون بعد كل هذا : " فكذب وعصي ، ثم أدبر يسعي فحشر فنادي ، فقال أنا ربكم الأعلي ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولي"، والآيات جاء تفصيلها في مواضع أخري ، فقد استكبر بعد أن رأي الآيات ، وجمع السحرة ليغلبوا بسحرهم موسي في رأيه ، وأعلن هذه القرية العظيمة : " أنا ربكم الأعلي " ، فأخذه الله بالعقاب الشديد ، بالإغراق في الدنيا والنار في الآخرة . ففي هذه القصة عبرة لكفار قريش ، ولغيرهم من العتاة والمشركين ، وتسلية كذلك للرسول صلي الله عليه وسلم .

ثم انتقل سبحانه إلي دليل آخر على البعث ، وهو خلق السماء والأرض . والجبال من العدم، وكل ذلك أشد وأكبر من خلق الناس فقال تعالي : " أنت أشد خلقا أم السماء " ، أي أخلقكم بعد الموت أشد عندكم ، أم خلق السماء ؟ وقد بين سبحانه هذا الأمر في آيات أخر فقال تعالي : " لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس " ، وقال تعالي : " أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علي أن يخلق مثلهم ....". ثم وصف خلق السماء وعظمتها بقوله : " بناها رفع سمكها فسواها " أي رفعها في الهواء ، لا شقوق فيها ولا عيب ، مستوية واسعة الأرجاء، مرفوعة بغير عمد ، وجعل ليلها مظلم ونهارها مضيء بما خلق فيها من الأجرام السماوية ، وأضاف لها الليل والنهار لأنهما يحدثان بسبب غروب الشمس وشروقها ، وكل ذلك يحصل بسبب حركة الفلك .

ثم أخبر سبحانه عن خلق الأرض والجبال فقال : " والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها " ، وظاهر هذه الآية يدل على أن الأرض خلقت بعد

السماء لأن السماء سبق ذكرها ، ولكن جاء في سورة البقرة بأن الأرض خلقت قبل السماء : " هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوي إلي السماء فسواهن سبع سموات .... "، ووفق العلماء بين الآيتين بأن الأرض خلقت أولا كالكرة مجتمعة ، ثم خلق السماء ، ثم دحي الأرض أي أخرج ماءها وثمارها ومافيها ، وأنبع عيونها ، وأجري أنهارها ، وثبتها بالجبال لتستقر بأهلها ، كل ذلك متاعا لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام والدواب مدة حياتهم .

ولما بين سبحانه كيفية خلق السماء والأرض ليستدل بها علي كونه قادرا على الحشر والنشر ، فلما أثبت ذلك وبين إمكانه بالعقل أخبر بعد ذلك عن وقوعه فقال: " فإذا جاءت الطامة الكبري يوم يتذكر الإنسان ما سعي وبرزت الجحيم لمن يري " .

ثم بين سبحانه بعد قيام القيامة حال الأشقياء، وبين أن سبب شقائهم أمران: الطغيان، وحب الدنيا، فأدي ذلك بهم إلى النار: " فأما من طغي وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوي"، وجواب الشرط في قوله تعالي :" فإذا جاءت الطامة "، إما أن يكون محذوفا تقديره إذا جاءت الطامة دخل أهل النار النار ، وأهل الجنة . أو يكون الجواب قوله تعالي : " فإن الجحيم هي المأوي ، فيكون جواب الشرطين : " فإذا جاءت الطامة "، ولقوله تعالي : "فأما من طغي"، كقولهم : إذا جاء الغد، فمن جاءني سائلا عطيته: [1]

[1] انظر التفسير الكبير ٥٢/٣١

ثم بين حال السعداء ، وبين أن سبب سعادتهم أمران : الخوف من الله سبحانه ، ومخالفة الهوي ، وهما عكس صفات الأشقياء : " وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فإن الجنة هي المأوي " . وقدم الخوف من الله سبحانه لأنه السبب والمعين علي دفع الهوي ومخالفة النفس .

وبعد ثبوت القيامة بالبراهين المختلفة ، وبيان حال من كذب بها ، ومراتب الناس فيها ، ذكر سبحانه استعجال الكفار للساعة ، وسؤالهم للرسول أن يبين لهم وقتها إما استعجالا لها أو استهزاء بها ، فبين سبحانه أن علم وقتها مرده إلى الله وحده : " يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، فيم أنت من ذكراها " ، ومعني ذلك : أي لماذا تحرص وتتشغل بوقتها والسؤال عنها ، فهذا أمر مرجعه إلى الله سبحانه وحده ، أو يكون معني : " فيم " أي كيف تسألون عنها ، فالرسول صلي الله عليه وسلم من علاماتها : " أنت من ذكراها ". فكفاهم دليلا علي قربها إرسالك إليهم وكونك خاتم النبين ، ويؤيد هذا المعني ما جاء من قوله صلي الله عليه وسلم : " بعثت أنا والساعة كهاتين ، ثم جمع بين السبابة والوسطي". ثم بين أن وظيفته البلاغ فقط لمن يخاف الآخرة وعقابها : " إنما أنت منذر من يخشاها "... : ثم أشار سبحانه إلي قصر الدنيا وسرعة زوالها فهي بالنسبة للأخرة : عشية اليوم أو ضحاه : " كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها " ، والمقصود ضحي اليوم لا العشية ، وهذا المعني مألوف في كلام العرب[1]

[1] انظر القرطبي ٤٢١٥/٦

سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)

السورة نزلت بمكة ، ويتمثل فيها ملامح الوحي المكي ، ويظهر ذلك في أسلوب السورة وألفاظها ، فهي قصيرة الآيات ، شديدة اللهجة ، قرية النبرات يتكرر فيها التهديد والوعيد واللوم والعتاب .ويظهر كذلك في موضوع السورة وقضاياها ، ففيها توجيه وتسديد الأسلوب الدعوة وفقهها ، وكذلك تهديد ووعيد للمكذبين بالبعث

والقيامة ، والاستدلال لذلك بالبراهين المتنوعة ، وتذكير الإنسان بنعم الله المتعددة ، ثم رسم صور ومشاهد حية للقيامة وأهوالها وأحوال الناس فيها .

سبب نزول السورة : -

ما رواه غير واحد من المفسرين أن ابن أم مكتوم أتي الرسول صلي الله عليه وسلم وعنده كبراء قريش الكفار عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل ، والعباس وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم ، وابن أم مكتوم الأعمي يقول للنبي صلي الله عليو وسلم : أقرئني وعلمني مما علمك لله ، وكرره عليه ، فكره رسول الله صلي الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس ، وأعرض عنه ، وأقبل علي المشركين فنزلت هذه الآيات ..... فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يكرمه بعد ذلك ، ويقول إذا رآه : " مرحبا بمن عاتبني فيه ربي "[1]

موضوع السورة ومعناها الإجمالي :

تناولت السورة كغيرها من السور المكية أهداف الوجي في هذه الفترة من إثبات البعث والقيامة والأدلة على ذلك، وتهديد المكذبين بها ، ثم تذكير الانسان بنعم الله طلبا لشكره، بالإضافة إلي توجيه مسار الدعوة وأهلها في هذا الوقت ومن ذلك :

١- توجيه الدعوة وبيان فقهها الصحيح، وأن ميزان الاهتمام مرجعه القوي والخشية من الله والآخرة ، لا موازين الدنيا من المال والشرف لذلك طلب من الرسول صلي الله عليه وسلم أن يسني في الدعوة جميعا بغض النظر عن مراتبهم الدنيوية .

[1] انظر الكشاف ٢١٧/٤

٢- تهديد الكفار وغيرهم ممن لا يؤمن بالبعث والقيامة ، وسرد الأدلة روعة علي إمكانية البعث والقيامة ، بتوجيه نظر الإنسان إلى بداية خلقه راحل تطوره ، ثم إنزال المطر وإخراج النبات من الأرض الميتة ، وفي - أيضا تذكير بنعم الله المتطلبة لشكره ، وعبادته ، وتوحيده...

٣- وأخيرا رسم صور ومشاهد للقيامة وأهوالها ، وبيان حال السعداء المؤمنون ، ومصير الأشقياء وصورهم المشينة الذليلة

قراءات السورة :

- قوله تعالي : " وما يدريك لعله يزكي أو يذكر فتنفعه الذكري " ، .في "تنفعه " قراءتان : الأولي بنصب العين " تنفعه " ، فتكون منصوبة بإضمار " أن " في جواب " لعل " . والثانية برفع " العين" . عطفا علي " يذكر ". : قوله تعالى : " أما من استغني فأنت له تصدي " ، في " تصعدي . .. قراءتان : الأولي " تصدي " بتشديد الصاد بسبب إدغام التاء في الصاد ، لأن الفعل أصله " تتصدي " ، والثانية بتخفيف الصاد علي أن إحدي التائين محذوفة . ومعني تصدي : تقبل بوجهك علي ..... الكفار وتتعرض لهم .

- قوله تعالي : " فلينظر الإنسان إلي طعامه أنا صببنا الماء صبا"، في " أنا " قراءتان : الأولي بكسر " إنا " علي أنها مستأنفة يبدأ بها الكلام ، والثانية بفتح همزتها على تقدير : " لأنا صببنا "، أو لأنها بدل من الطعام .

تحليل لبعض الآيات :-

– المقطع الأول في السورة جاء عتاب رقيق للنبي صلي الله عليه وسلم في إقباله علي رؤوساء مكة وساداتها والإعراض عن هذا الأعمي الذي جاء يطلب العلم والإيمان ، وتظهر الدقة والعظمة في أسلوب هذا العتاب ، فإنه بدأ بحكاية هذا الأمر وأن الأولي عدم فعله " عبس وتولي أن جاءه الأعمي ...."، ثم بدأ يخاطب الرسول صلي الله عليه وسلم ويبين له سبب العتاب : " وما يدريك لعله يزكي أو يذكر فتنفعه الذكري .... " أي لعل هذا الأعمي يتطهر بعمل الطاعات واجتناب الحرام إذا علمته وأقبلت عليه ، ثم إن هذا الكافر المعرض عنك وعن دينك ليس عليك هدايته إنما أنت منذر فقط لمن يخشي ويقبل على الله سبحانه ، ثم زادت حدة العتاب : بقوله " كلا " أي لا ينبغي لك فعل ذلك . وهذا العتاب ليس بسبب معصية من النبي صلي الله عليه وسلم ، فهو من قبيل خلاف الأولي ، وترك الأفضل أو ترك الاحتياط لقول الناس أنه أقبل علي الأغنياء وأعرض عن الفقراء . فإن الأنبياء لا يصدر منهم المعاصي لا الكبائر ولا الصغائر .

– قوله تعالي : " في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة"، أي هذه الموعظة أو هذه السورة في صحف مكرمة ، واختلف المفسرون في معني " صحف مكرمة بأيدي سفرة . قيل : هي اللوح المحفوظ المسطور فيه القرآن ، والسفرة هم الملائكة لأنها تنزل بالوحي كالسفير المصلح بين القوم . وقيل : هي كتب الأنبياء كالقرآن والزبور ، والسفرة هم أصحاب محمد صلي الله عليه وسلم ، أو هم القراء والكتبة . والمعني الأول هو الأرجح ، لأن اللوح المحفوظ هو الأصل ، كما أن وصف الصحف بالمرفوعة يدل على ذلك لأن اللوح عند العرش ، ومما

يؤيد ذلك رواية أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ..... "[1] ، والمعني الثاني أيضا صحيح ، لأن القرآن صحف مطهرة ، وحفاظه من الصحابة والقراء أيضا كرام بررة.. ويؤخذ من هذا الوصف أنه ينبغي لحامل القرآن وحافظه أن تكون أفعاله وأقواله علي السداد والرشاد وأن يتصف بالكرم ومعالي الأخلاق ، ويجتنب مساوئها .

ثم انتقلت السورة إلى الفكرة الثانية ، وهي الإشارة إلي خلق الإنسان من نطفة ، ثم – أطوار خلقه إلى بعثه يوم القيامة ، ليستدل بذلك علي قدرته علي البعث، وليذكر أصله وآلاء الله عليه فيؤمن ولا يتكبر علي خالقه فقال تعالي : "قتل الإنسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره ، كلا لما يقض ما أمره "

– وقوله : " قتل الإنسان " ، دعاء عليه باللعن . وقوله : " ما أكفره " إما يراد به الاستفهام ويكون غرضه التوبيخ تقديره : أي شيء أكفره ؟، أو يراد به التعجب ، أي أعجبوا من كفر هذا الإنسان الذي لم يتعظ بخلقه وما في الكون وكفر بربه . – وقوله : "خلقه فقدره " يحتمل معاني : إما قدر خلق أعضاءه : رأسه ، وعينيه ، ويديه من هذه اللحمة الصغيرة ، أو قدر خلقه أطوارا ثم نطفة ، ثم علقة ..... ، أو قدره علي الاستواء رجلا – وكذلك قوله :" ثم السبيل يسره " يحتمل أنه سهل له سبيل العلم بالحق والباطل ، فعرفه الطريقين ، أو سهل له سبيل خروجه من –

[1] انظر ابن كثير ٤٧٠/٤

وقوله : "ثم أماته فأقبره " أشار إلى أنه لم يجعل بعد موته ممن يلقي علي ظاهر الأرض كالطير والمواشي الميتة، ولكن كرمه بالدفن ومواراة جسده تحت التراب . ..... انا – وقوله : " كلا لما يقض ما أمره " ، أي أن الإنسان مهما تقرب إلي . الله سبحانه لم يكمل فرض الله عليه ، ولم يؤد حق نعمه سبحانه .

ومن ثم انتقلت الآيات إلي دليل أخر علي البعث ، وهو خلق النبات من الأرض الميتة ، وتشير الآيات في نفس الوقت إلى رعاية الله للإنسان ببيان تهيئة الله للأرض والمطر والنبات لخدمة الإنسان وإخراج قوته وما يكون سببا لبقائه في الدنيا فقال تعالي : " فلينظر الإنسان إلي طعامه ، أنا صببنا الماء صبا، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم ".

وبعد سياق أدلة البعث والقيامة ساق الله سبحانه مشهد رهيب وصور من لقطات هذا الموقف العظيم ، فسماها " بالصاخة" أي تصخ الأسماع فتصيبها بالصم من هول الصيحة وشدة الموقف ، فالإنسان في هذا اليوم مذعورا يفر من أقرب الناس إليه : " يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه " ، وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه ، ثم بالزوجة والبنين لأنهم أقرب وأحب ، كأنه قال : يفر من أخيه بل من أبويه ، بل من صاحبته .....، ثم بين سبحانه سبب هذا الفرار : " لكل مريء منهم يومئذ شأن يغنيه " أي لا يلتفت لهم لعظم ما هو فيه من الهول والشدة والفزع والانشغال بنفسه، ومن شدة الأمر يحشر الناس عراة ولا يحس بذلك أحد كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما

أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : تحشرون حفاة عراة غلا (أي كما كانوا قبل الطهارة) فقالت امرأة أو يري بعضنا عورة بعض ؟ قال : " يا فلانة لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه " [1] أو يفر منهم حذرا من تقصيره في حقهم وخوفا من مطالبتهم بالحقوق ، فيقول له الأخ لم تواسني ، والأبوان قصرت في برنا ، والزوجة أطعمتنا الحرام ، والأولاد قصرت في تعليمنا وإرشادنا إلي الطاعة .[2]

ثم ختم الله سبحانه السورة برسم صورة للعبد المؤمن فوجهه مضيء من الطاعة والصلاة ، ضاحك مستبشر ، فرح بما ناله من السعادة والنعيم : " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة". بخلاف صورة الشقي التعيس ، فهو مظلم الوجه ، يعلوه السواد كالدخان ، يتقطع حسرة وحزنا : " ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة، أولئك هم الكفرة الفجرة "..

[1] ابن كثير ٤/٤٧٤
[2] انظر الكشاف ٤/٢٢٠

سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤) فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) .

السورة مكية ، فموضوع السورة إثبات ليوم القيامة ، وتصوير لأهوالها وكذلك تقرير بأن القرآن حق هو كلام الله سبحانه ، وإثبات للرسالة والأنبياء ، وعرض لأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وكل ذلك من أهداف الوحي المكي ، كما أن أسلوب السورة وألفاظها يسير مع طابع السورة المكية من قصر الآيات وقوة اللهجة ، والتهديد والوعيد .

موضوع السورة ومعناها الإجمالي : – السورة تناولت عدة قضايا : –

١ – تصوير للقيامة وما يحدث فيها من أهوال وفظائع : " إذا الشمس كورت ". ايران را دارد

٢ – إثبات للحساب وأن كل إنسان سيواجه بكتاب أعماله يوم القيامة : " علمت نفس ما أحضرت".

٣– إثبات القرآن وأنه حق، فهو كلام الله وتنزيله : " إنه لقول رسول" .

٣– إثبات للرسل من الملائكة والبشر ، وكذلك للرسالة والكتب : " إنه لقول رسول كريم ذي قوة ..... وما صاحبكم بمجنون". ..

٥ – توحيد الله سبحانه بذكر أسمائه وصفاته العليا : " وما تشاءون إلا أن يشاء الله "..

قراءات السورة : –

– قوله تعالي : " إذا البحار سجرت " ، قريء : " سجرت " بتخفيف الجيم ، وقريء بتشديدها على التكثير . ومعني سجرت و إما أوقدت . . نارا ، لأن معني سجرت التنور إذا أوقدتها ، وقيل : يبست ، وقيل : ملئت بأن صارت البحار بحرا واحدا ، ولا تعارض بين هذه الأقوال فإن البحار قد تفتح علي بعض فتمليء بالماء ، ثم تشتعل نارا ، ثم تيبس بعد ذلك .

– قوله تعالي : " وإذا الموعودة سئلت بأي ذنب قتلت " قريء : . "قتلت " بتشديد التاء على المبالغة في القتل ، وقريء بتخفيفها .

والأصل أن يسأل الوائد عن سبب قتله للموءودة ، ولكنه سأل الموجودة علي سبيل التبكيت لقاتلها ، لأن جوابها سيكون : قتلت بغير ذنب .

– قوله تعالى : " وإذا الصحف نشرت " ، قريء " نشرت " بتشديد الشين ، علي سبيل المبالغة ، وقريء بتخفيفها ، والمعني أن صحائف أعمال بني آدم تنشر وتعرض عليهم للحساب.. – قوله تعالي : " وإذا الجحيم سعرت "، قريء : " سعرت" بتشديد : العين مبالغة ، أي أوقدت مرة بعد مرة ، وقريء بتخفيفها .

– قوله تعالي : " وما هو علي الغيب بضنين "، " ضنين " قريء :

بالظاء ، ومعناه : متهم أي أن محمدا صلي الله عليه وسلم ليس بمتهم على ما يخبر به من الغيب والوحي ، من قولهم : ظننت زيدا .. أي اتهمته ، وليس من الظن المتعدي لمفعولين.، وتكون ظنين على وزن فعيل بمعنى مفعول . والقراءة الثانية بالضاد " ضنين – علي وزن فاعل ومن " ضن " بمعني " بخل " ، أي لا يبخل عليكم بالعلم وبالدلالة على ما ينفعكم في الدنيا والآخرة . [1]

[1] انظر زاد المسير ١٨٨/٨ ، الكشاف ٢٢٢/٤

توجيه لبعض الآيات : -

تحدثت السورة في المقطع الأول منها عن حقيقة القيامة ، وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل ، يشمل الشمس والنجوم ، والجبال والبحار ، والأرض والسماء ، والأنعام والوحوش وغير ذلك فقال تعالي :

- " إذا الشمس كورت "، قيل : : معناها أظلمت الشمس وذهب ضوؤها ، وقيل : اضمحلت ، وقيل : أنها تكور مثل تكوير العمامة فتلف وتجمع إلى بعضها ويلقي بها في البحر .

- " وإذا النجوم انكدرت " ، أي تناثرت وتساقطت على الأرض .

" وإذا الجبال سيرت"، أي ذهب أثرها واستوت مع الأرض .

- " وإذا العشار عطلت "، العشار هي النوق الحوامل التي أوشكت اتنا علي الولادة وهي أفضل الأموال عند العرب لأن أكثر عيشتهم من الإبل ، فكانوا لا يحلبونها ولا يركبونها ويجلسون عندها انتظارا الخيرها ، ولكن في هذا اليوم تهمل ويتركها أصحابها لاشتعالهم بالأهوال .

- " وإذا الوحوش حشرت " ، أي جمعت ليوم القيامة فيفصل بينها : فيقتض للجماء من القرناء ، ثم يقال لها موتي فتموت . وفي جمع . الحيوانات دلالة بالغة علي عدل الله سبحانه ، فإنه سبحانه إذا حشر البهائم وحكم بينها فلا يعقل أن يترك العقلاء شدي ، كما أن في جمع كل هذه البهائم من الصحاري وبقاع الدنيا في مكان واحد ووقت واحد دلالة عظيمة علي طلاقة قدرته سبحانه .

– وإذا النفوس زوجت "، قيل : قرن يوم القيامة النظير بنظيره الصالح مع الصالح ، والفاجر مع الفاجر ، وقيل : ترد الأرواح إلى الأبدان والأجساد فتزوج بها ، وقيل : يزوج المؤمنون بحور العين ، والكفار بالشياطين .

– " وإذا السماء كشطت " ، أي نزعت وطويت . – " وإذا الجنة أزلفت " ، أي قربت من المتقين . وبعد كل ذلك جاء جواب الشرط لكل آية وهو : " علمت نفس ما أحضرت " أي حدث ذلك علمت في ذلك الوقت كل نفس ما قدمت من خير أو شر.

وفي المقطع الثاني للسورة أقسم الله سبحانه على أن القرآن كلامه نز به رسوله الملكي جبريل علي رسوله الإنسي محمد صلي الله عليه وسلم .

– " فلا أقسم بالخنس "، قيل : هي نجوم معلومة خمسة ، وقيل : هي النجوم عامة ، وسميت بالخنس لأنها تنقبض وتغيب أحيانا ثم تظهر.

وقيل : هي البقر الوحشي ، والكناس مقر البقر الوحشي. وقيل – الملائكة . والراجح أنها النجوم ، لأنه سبحانه أقسم بعدها باللي وهو مناسب للنجوم ، ولأن النجوم أعظم رتبة وخلقا من البقر . الوحشي ، ووصفها بالجوار ، أي السيارة في فلكها ، والكنس أي التي تغيب أحيانا . : ثم أقسم ب " والليل إذا عسعس " ، وعسعس من المشترك اللفظي بمعني أقبل الليل ، أو أدبر ، والمناسب هنا " أدبر "، لأنه قال بعد . ذلك :

– " والصبح إذا تتنفس " ، وتنفس الصبح المقصود به طلوع الفجر أو

ظهور الشمس والضياء ، لأن ذلك سبب الروح والحياة في النبات . والإنسان . وجواب هذا القسم قوله تعالي : . – " إنه لقول رسول كريم "، أي القرآن نزل به جبريل عليه السلام .

ثم وصف جبريل بعدة أوصاف عظيمة فقال :

– " إنه لقول رسول كريم " فهو رسول إلى كل الأنبياء بالوحي ، وكريم لأنه يعطي أفضل العطايا وهي المعرفة والهداية .

– " ذي قوة عند ذي العرش مكين " فالقوة هنا تحتمل معني الشدة ، فقد رفع قري قوم لوط علي طرف جناحه إلى السماء حتي سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم قلبهم إلى الأرض ، وقيل : ذو قوة في . الطاعة وأداء الرسالة .

– قوله " عند ذي العرش "لا يقصد به المكان والجوار تعالي الله عن ذلك ، والمقصود أن له مكانة عالية شريفة عند الله سبحانه ، و " المكين لا أي ذو الجاه والمعزة.

– " مطاع ثم أمين " أي تطيعه الملائكة وترجع إلي رأيه ، وأمين علي وحي الله سبحانه ورسالاته .

ثم انتقلت الآيات إلي إثبات رسالة محمد صلي الله عليه وسلم وتبرئته من تهم المشركين فقال تعالي :" وما صاحبكم بمجنون " ، وهذا جواب آخر للقسم السابق ، فقد أقسم الله سبحانه بأنه رسول كريم ، وليس بمجنون كما يدعي كفار قريش .

– " ولقد رأه بالأفق المبين " ، أي رأي محمد صلي الله عليه وسلم جبريل عليه السلام علي صورته الملكية ساد الأفق بين السماء والأرض وتلقي منه الوحي . " وما هو علي الغيب بضنين : فمحمد صلي الله عليه وسلم أمين علي الوحي غير متهم ، كريم غاية الكرم بلغ رسالة ربه علي أتم وجه دون أجر ولا من ولا كل : " وما هو بقول شيطان رجيم " ، فلا يمكن أن يصدر هذا الكلام العظيم العالي عن الشياطين .

– : " فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين "، بعد بيان الحق وظهوره كيف تتركونه وتسلكون طرق الباطل والضلال ، بعد ظهوره ووضوحه وإعجازه ، فهذا القرآن هداية وعصمة للعالمين الذين يريدون الهداية والاستقامة ، والانتفاع به : " لمن شاء منكم أن يستقيم ". ثم بين سبحانه أن مشيئة الإنسان وإرادته للهداية والإيمان لا تكون ولا تقع إلا بعد مشيئة الله وإرادته لهدايته وتوفيقه : " وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين " ، فالعبد لا يعمل خيرا إلا بتوفيق الله ، ولا شرا إلا بخذلانه ، فأمور الإنسان بيد الله سبحانه لا ملجأ له ولا معين ولا نصير ولا رازق ولا هادي إلا الله فعليه لزوم طاعته واتباع رسالته .

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)

السورة مكية تتسم بطابع القرآن المكي في موضوعها ، وأهدافها ، وفي ألفاظها وتعبيرها كما مر بنا مع أخواتها من السور المكية .

موضوع السورة ومعناها الإجمالي : –

١ – تصوير ليوم القيامة وحكاية بعض مشاهدها الرهيبة ، وما يحدث من انقلاب كوني في السماء والنجوم، والبحار، والأرض.

٢ – توجيه نظر الناس إلي كيفية خلقهم ، مع تذكيرهم بنعم الله سبحانه عليهم ، بأسلوب قوي مغلف بنبرة العتاب واللوم مما يجعل النفس الكريمة تراجع صاحبها ليعود على صاحب الفضل والنعم فيشكره : " يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم

الذي خلقك فسواك فعدلك ....."، فالله سبحانه مع كثرأفضاله وآياته علي الناس ، ومع كونه قويا قادرا علي عذابهم وعقابهم ألا أنه .. حليم صبور لا يعجلهم بالعقوبة على عصيانهم وتفريطهم .." ..

٣ – إثبات الملائكة الحفظة للإنسان ، وكذلك الملائكة الكتبة التي تسجل علي الإنسان كل صغيرة وكبيرة من أعماله ، ولا تفارقة إلا عند الخلاء والجماع .

٤ – بيان عاقبة من استجاب وآمن بالقيامة وشكر ربه علي نعمه، ومصير الكافر الجاحد لنعم الله سبحانه .

٥ – تهويل وتعظيم ليوم القيامة ، مع بيان أن الأمر والحكم فيه لله وحده ولا ينفع الإنسان إلا عمله وسعيه .

قراءات السورة : –

– قوله تعالي : " الذي خلقك فسواك فعدلك ، في أي صورة ما شاء ركبك " ، قريء : " عدلك " بتخفيف الدال ، والمعنى : أن الله أمال خلق الإنسان وصرفه إلي أي صورة يريدها سبحانه طويل أم قصير ، حسن أم قبيح ، شبه للأم أو الأب ... الخ . وقريء بتشديد الدال ، والمعني جعلك الله معتدل الخلق والهيئة بخلاف الحيوان .

– قوله تعالي :" كلا بل تكذبون بالدين " بالتاء علي الخطاب ، وقريء بالياء علي أنه خطاب للغائب . التالية – قوله تعالي : "يوم لا تملك نفس لنفس شيئا " ، قريء " يوم " انا بالضم إما لأنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هو يوم"، أو على أنه

تو بدل ليوم السابق في قوله تعالي : " وما أدراك ما يوم الدين " . من المدن وقريء بنصب " يوم " علي أنه ظرف زمان ، أو على تقدير :

" اذكر يوم " ، أو : " يدانون يوم "، أو " هذه الأمور تكون يوم لا يملك ....".[1]

توجية لبعض الآيات :

– قوله تعالي : " إذا السماء انفطرت"، أي انشقت فصارت أبوابا . – " وإذا الكواكب انتثرت " ، أي تساقطت ، وذهبت .. – " وإذا البحار فجرت " ، أي فتح بعضها على بعض فصارت بحرا واحدا، أو أوقدت نارا فذهب ماؤها . – " وإذا القبور بعثرت"، أي قلبت وأخرج ما فيها . والآيات السابقة تصور تخريب الدنيا ، وهي كالبيت فيبدأ أولا بتخريب السبقف وهي السماء ، فيترتب عليه تساقط نجومها ، ثم يخرب بعد ذلك ما علي : الأرض من كائنات : " إذا البحار فجرت " ، ثم أخيرا يخرب الأرض التي عليها بناء الدنيا : " إذا القبور بعثرت ".

– قوله تعالي : "علمت نفس ما قدمت وأخرت " ، وهذه الجملة كا جواب الشرط السابق : " إذا السماء انفطرت " ، والمعني إذا حدثت : هذه المور فسيعلم الإنسان عمله ويحاسب علي ما قدم من طاعات وأخر، أي ترك من المعاصي والكبائر ، فيثاب علي ذلك . – قوله تعالي : " يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم " ، هذه الآية و فيها تهديد للعاصي والكافر وإن كان ظاهرها الرجاء والطمع في و كرمه ، أي ما خدعك وسول لك حتي أضعت فرائض الله عليك ، انا أو أي شيء أمنك من عقابه مع كرمه لك فلم يعاجلك بالعقوبة نشان داد وصبر عليك ، فصفة الكرم

[1] انظر القرطبي ٧٠٤٠/١٠

والحلم هنا تتطلب من الإنسان أن لا يستحي من خالقه ومسويه فلا يقابل كرمه وفضله بالعصيان والفجور . ثم فصل سبحانه كرمه فقال : روستا .

– " الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركيك " ، فأول نعمة علي الإنسان خلقه من العدم ، ولم يكتف بمجرد الخلق علي أي صورة ، بل جعله في أحسن صورة " فسواك " أي جعلك سويا سليم الأعضاء والجوارح تسمع وتبصر وتعقل ، وسخر لك جميع الكائنات في الكون لخدمتك ، وأنطق لسانك بالذكر، وقلبك بالمعرفة والعلم ، ثم " عدلك " أي جعل جسمك يتناسق علي السوية فالعين مثل الأخري ، والشكل واحد لا أسود من ناحية ، و أبيض في أخري ، وكذلك الأذنين واليدين ..... وهكذا حتي الأعضاء الداخلية متناسقة متشابهة .

يقول سيد قطب رحمه الله : " إن خلق الإنسان .علي هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة الكاملة الشكل والوظيفة ، أمر يستحق التدبر الطويل والشكر العقيق ، والأدب الجم ، والحب لربه الكريم ، الذي أكرمه بهذه الحلقة ..... وإن الجمال والاعتدال ليبدو في تكوينه الجسدي ، وتكوينه العقلي ، وتكوينه الروحي سواء ، وهي تتناسق في كيانه في جمال واستواء ..... فهذه الأجهزة العامة لتكوين الإنسان الجسدي ، الجهاز العظمي ، والجهاز العضلي ، والجهاز الجلدي ، والجهاز الهضمي ، والجهاز الدموي ، والجهاز التنفسي، والجهاز العصبي ..... وأجهزة الذوق والشم والسمع والبصر ، كل منها عجيبة لا تقاس إليها كل العجائب الصناعية التي يقف الإنسان مدهوشا أمامها.[1]

[1] ظلال القرآن ٣٨٤٨/٦

– قوله تعالي " في أي صورة ما شاء ركبك " ، أي في أي صورة اقتضتها حكمته ومشيئته من الصور المختلفة جعلك عليها ، أي انها ص ورة تحتمل أي شكل من شكل القربات : الأب ، الأم ، الجد ، بنا الخال ، أو في أي صورة من حسن أو قبح ، أو طول أو قصر ،أو ذكر أو أنثي... ، وقيل : ولو شاء لصورك في صورة حمار أو قرد أو خنزير . وفي هذا المقطع لوم للإنسان وعتاب له حتي يشعر بنعم مولاه وخالقه ، فتعود هذه النفس والروح إلى خالقها بالإيمان والطاعة ، وكذلك ليستدل على أن البعث سهل عليه فإن خالق كل هؤلاء البشر وفق هذه الصفات المتباينة ، لا يشبة واحد منهم الأخر في لون ولا شكل ولا لغة ، يدل ذلك علي علمه وحكمته وقدرته المطلقة لأنه خلق كل هذه الصفات من نطفة واحدة متشابهة عند الجميع .

وفي المقطع الثالث بين أن الإنسان قابل هذه النعم بالتكذيب بالأخرة ، بعد أن بان له بالأدلة المتعددة صحة وقوعها وأنها حق ، وأكد الحساب والجزاء يكون الله سبحانه سخر ملائكة كتاب لكل إنسان تسجل عليه أعماله صغيرها وكبيرها فقال تعالي : " كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون " ، فالله سبحانه وصف الملائكة بصفات : كونهم حافظين للأعمال ، كراما ، يكتبون الأعمال ، يعلمون ما يقع من البشر قبل كتابته ، وفي تعظيم الله سبحانه للحفاظ الكاتبين تعظيم لأمر الجزاء والحساب ، وإثبات ليوم القيامة وبيان لحكمته العالية ، وفي الآية تنصيص علي وجود الملائكة الحفظة والكتبة لأعمال الإنسان ، ويؤيد ذلك ما جاء عن رسول الله صلي الله عليه وسلم : " أكرموا الكرام الكاتبين

الذين لا يفارقونكم إلا عند الخلاء والجماع والغسل". ولذلك كره العلماء الكلام عند هذه الأعمال . وفي الآية دليل أيضا علي أن الملائكة الكاتبين موكلة بالكفار كما هي موكلة بالمسلمين . فإن قيل كيف تعرف الملائكة ما هم به العبد من السيئة أو الحسنة وهو لم يظهرها ما زالت بداخله ؟ قالوا : إذا هم العيد بالسيئة وجد الملائكة منه ريحا نتنا ، وإذا هم بالحسنة شموا رائحة المساك .

ختم السورة ببيان عاقبة المكذب بيوم الدين ، والمصدق به فقال تعالي :

– " إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم ، يصلونها يوم الدين وماهم عنها بغائبين " ، وفي قوله " غائبين " دلالة علي خلود الكفار في النار ، وبناء علي هذا التأويل يكون " الفجار " عام : المراد به الخصوص وهم الكفار فقط ، ولا يشمل الفجار من المؤمنين . وقيل : " غائبين " تعود علي القيامة ، أي لا يغيب عن حضورها وشهودها أحد ، وبناء على ذلك فيكون " الفجار " علي عمومه ويشمل الكفار والمؤمنين ، ثم عظم الله سبحانه يوم القيامة ، وهول من شأنه فقال :

– " وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله " . أي يوم القيامة أمر عظيم لا يدرك أحد كنهه في الهول والشدة ، وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلي أضعاف ما تخيلته ، وكرر هذه الجملة لزيادة التهويل وتصور أهواله ، ثم بين أنه لا يدفع أحد عن أحد والأمر فيه لله وحده .

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

هذه السورة من المختلف فيها هل هي مكية أو مدنية على أقوال :

الأول : قيل هي مكية لأن الله سبحانه ذكر فيها قول الكفار عن القرآن بأنه أساطير الأولين ، وكذلك حكي فيها استهزاءهم من ضعفاء المشركين : " إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ..... " وكل هذا حدث بمكة ، وكذلك يظهر في أسلوب السورة سمات الخطاب المكي من قصر الآيات والتهديد ، وكذلك معالجة قضايا العقيدة كالإيمان بالبعث .

الثاني : وقيل أن السورة مدنية ، والدليل على ذلك ما جاء في سبب نزولها عن ابن عباس رضي الله عنهما : لما قدم رسول الله المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله تعالى : " ويل للمطففين ".

الثالث : قيل أنها نزلت بين مكة والمدينة في طريق هجرته صلي الله عليه وسلم.

الرابع : قيل نزلت بالمدينة إلا قصة استهزاء الكفاز ، وقولهم عن القرآن بأنه أساطير الأوليين[1] : والظاهر أن ملامح الخطاب المكي وأهدافه هو الغالب علي السورة ، وقد تكون نزلت في مكة ، ثم تكرر نزولها بالمدينة والله أعلم .

موضوع السورة ومعناها الإجمالي :

- تعرض السورة عدة قضايا :

في المقطع الأول تتناول قضية أخلاقية عملية اجتماعية ، وهي الدعوة إلى الإنصاف والعدل في المعاملة ، وعدم ظلم الناس وأكل أموالهم بالباطل ، وهو مبدأ

[1] انظر الاتقان ٣٤/١ ،زاد المسير ٢٠٠/٨

من المبادئ الإسلامية التي يراد بها تغيير الواقع الجاهلي المظلم ، فهي تأمر بأن تعامل الناس بمثل ما يعاملوك في الكيل والميزان فلا تطفيف ، ولا ظلم.

٢ – ثم تعود الآيات في المقطع الثاني إلى تهديد الطغاة الفجار وتحذيرهم من يوم يقومون فيه لرب العالمين ، وبيان عاقبة ذلك وتصوير ما يحدث لهم خطوة خطوة ولقطة لقطة ، وكذلك رسم مشهد مؤثر للأبرار ووصف ما يلاقونه من نعيم ظاهرا وباطنا ، وعقب قضية التطفيف بأمر الإيمان بالآخرة والحساب والجنة والنار ليربط بين العقيدة والسلوك والإيمان والعمل .

٣ – وفي نهاية السورة تسلية للمؤمنين المستضعفين في مكة بتصوير ما يحدث لهم من إيذاء واستهزاء من الكفار المجرمين ، فإن الله يعلم بكل ذلك فليصبر حزب الإيمان وليحتسب ، فإن العاقبة لهم وسوف ينقلب الحال في . الآخرة فيضحك أهل الإيمان وهم علي الأرائك في الجنان من هؤلاء المجرمين، وهم يتقلبون في جهنم .

قراءات السورة : –

– قوله تعالي : " تعرف في وجوههم نضرة النعيم في قرية : تعرف " بفتح التاء وكسر الراء مبني للفاعل ، و " نضرة " علي النصب مفعول به . وقريء بضم التاء ، وفتح الراء " تعرف : علي أنه مبني للمجهول ، و " نضرة " بالرفع نائب فاعل ، وتعني الآية : إذا رأيت الأبرار عرفت أنهم من أهل النعيم ، لما تري من : الحسن والنور في وجوههم.

– قوله تعالي : " يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك " ، والمعني أن أهل الجنة يشربون شرابا خالصا من أجود أنواع الخمور التي تفوح منه رائحة المسك . وفي " ختامه " قراءتان : " ختامه ، وخاتمه "، قيل : هما بمعني واحد، وهو أن ختام هذا الشراب ونهايته له رائحة المسك من الطيب ، بخلاف أشربة الدنيا فإن آخره غالبا يكون مكدرا غير خالص . وقيل : " ختامه " أي الطين الذي يختم به ، فإنه بعد ملئه يختم بالمسك بدل الطين ، وأما "خاتمه " فمعناه نهايته وآخره . ()

– قوله تعالي : " وإذا انقلبوا إلي أهلهم انقلبوا فكهين " ، قريء " " فكهين " بدون ألف بعد الفاء علي أنه صفة مشبهة من " فعل " "فكه "

وقريء : " فاكهين " بألف علي أنه اسم فاعل ، وهما لغتان بمعني واحد مثل : جمع وجامع ، حذر وحاذر . ومعتي الآية أن الكفار إذا رجعوا إلي أهلهم رجعوا وهم يضحكون من المؤمنين استهزاء بهم وسخرية ، والفكه الفرح المتلذذ ، أو البطر.

تحليل لبعض آيات السورة : –

– قوله تعالى : " ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا علي الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون اليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ".

هذه الآيات تهديد ووعيد شديد للمطفف في الكيل والميزان ، ومعني طفف : الذي لا يوفي الكيل والميزان ، وسمي بذلك لأنه يأخذ من حق غيره الشيء الطفيف

القليل ، أو لأن طف الشيء جانبه . ومعني الآية أن هؤلاء كانوا يأخذون حقهم من الناس بالكيل الزائد ، وإذا كالوا لغيرهم أو وزنوا لهم ينقصون ويبخسون حقهم .

وقال الله تعالي : " إذا اكتالوا على الناس يستوفون"، ولم يذكر إذا وزنوا كما ذكره في الآية التالية لأن المطففين كانوا يأخذون حقهم من الناس بالكيل دائما دون الوزن لمقدرتهم على الزيادة في الكيل دون الميزان غالبا ، أو لأن الكيل يقوم مكان الوزن وقال : " اكتالوا علي الناس " ولم يقل " من الناس "، لأن اكتيالهم فيه ظلم للناس وسطو على حقوقهم .

وقوله تعالي : " كالوهم أو وزنوهم "، وإعراب " هم " إما أن يكون في محل نصب ويكون الفعل متعديا . أو يكون الفعل لازما والتقدير:" كالوا لهم ووزنوا لهم ، فحذف حرف الجر وأوصل الضمير بالفعل ، وهي لغة أهل الحجاز ، أو يكون على حذف المضاف والتقدير " كالوا مكيلهم " ، " ووزنوا موزونهم " فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مكانه .

وإما أن يكون الضمير " هم " في محل رفع توكيدا للضمير في " كالوا أو وزنوا " ويعود علي المطففين ، ويكون مفعول الفعل محذوف لأنه معروف والتقدير:" كالوا هم للناس " ، وبناء علي هذا المعني كان بعض القراء يقف علي " كالوا " و " وزنوا " ، ثم يقرأ : " هم يخسرون ". ولكن هذه القراءة مردودة لأنها تخالف رسم المصحف فلا يوجد ألف بعد الواو في " كالو ، أو وزنو " .[1]

[1] انظر التفسير الكبير ٨٨/٣١

وفي الآية دلالة واضحة علي عظم ذنب التطفيف والظلم وترك العدل في كل أخذ وعطاء ، لأن الله سبحانه دعي بالوعيد والهلاك لفاعله ، ووصف اليوم الذي يقومون فيه بأنه عظيم ، بالإضافة إلى كونهم سيواجهون بذنبهم رب العالمين .

وبعد أن هدد الله سبحانه المطففين وأنهم سيواجهون بهذا الذنب العظيم ، تدرج الله بعد ذلك في بيان عاقبة الفجار والعصاة عموما فبين أوصافهم وعقابهم وحدد مكان كتابهم فقال :

"كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ، وما أدراك ما سجين ، كتاب مرقوم " ، – فالكتاب الذي سجل عليهم أعمالهم موضوع في سجين . وهو إما علم بعلي مكان في الأرض السابعة عبارة عن سجن ضيق كما قال المفسرون ، أو أنه فعيل مشتق منه السجن وهو الحبس والضيق ، فكتابهم موصوف بالحقارة والتسفل أخضرة الشياطين .

ثم بين سبحانه سبب هذا العقاب والمهانة فقال تعالي : " ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم ، إذا تتلي عليه آياتنا قال أساطير الأولين ، كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون ، كلا إنهم عند ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم إنهم لصالوا الجحيم".

فأول صفات هؤلاء النجار الكذب في أقوالهم وأفعالهم عموما ، ثم خص أعظم الكذب وهو عدم التصديق بيوم الدين ، فإنهم طغاة معتدون علي حرمات الله ، وحقوق الناس ، آثمون في أفعالهم وتصرفاتهم ، غير مصدقين بأن القرآن كلام الله فيقولون بأنه مجموع متلقي من قصص الأوائل . فرد الله عليهم مكذبا لهم ذلك ،

ومبينا أن سبب كل هذه الآثام الصادرة منهم موت قلوبهم بما تراكم عليها من الذنوب والآثام ، فصارت لا تعقل ولا تعي أسباب الإيمان والسعادة وهو قوله تعالي :

– "كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون " ، فمعني ران علي قلبه يرين رينا أي غلب ، ورانت الخمر علي عقله أي غلبته ، اوران عليه النعاس أي غلبه ، فمعني الآية أن الذنوب والمعاصي أحاطت بقلوبهم فأصبح أسودا لا يعرف المعروف، ولا ينكر المنكر .

– ويؤكد معني الران ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو علي قلبه وهو الران الذي ذكر الله في كتابه " كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون ". [1]

ثم بين الحق سبحانه عقابهم :

– " إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم " ، فهم مصيرهم النار خالدين فيها ، كما أنهم محرومون من رؤية الله ، سبحانه يوم القيامة ، فالآية فيها دلالة كما قال الشافعي رحمه الله علي أن المؤمنين سيرون الله يوم القيامة ، وهذه عقيدة أهل السنة – ومن الدلالة علي ذلك :

[1] انظر ابن كثير ٤٨٥/٤

١- مفهوم هذه الآية ، فإنه لما حجب المجرمين والكفار عن رؤيته دل على أنه سيمنح أهل الإيمان هذه النعمة العظيمة ، وهو ما يسمي مفهوم المخالفة

٢- مفهوم الخطاب الصريح الدال علي رؤيته سبحانه في الآخرة : وهو قوله تعالي : " وجوه يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة". .

٣- الأحاديث المتواترة في هذا المعني ، منها ما جاء في الصحيح عنه صلي الله عليه وسلم : " إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فإن استطعتم أن لا تقبلوا علي صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا ". وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : هل .. تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ قالوا لا ، قال : فإنكم ترون ربكم كذلك . [١]

٤ - إجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على ذلك كما نقلة ابن كثير رحمه الله .

وبعد أن بين حال الفجار صور في المقابل حال الأبرار وما يلاقونه من نعيم وسعادة في الآخرة فقال تعالي :

"كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ، وما أدراك ما عليون ، كتاب مزقوم ، يشهده المقربون " ، فإن كتاب الأبرار وحالهم . موصوف بالحلو والصفاء والسعة ، فكتابهم فوق السماء السابعة ، وقيل في الجنة ، تحضره الملائكة المقربون وينظرون إليه حين صعوده .

[١] انظر ابن كثير ٤/٤٧٠

هذا بالنسبة لكتاب أعمالهم أما عن نعيمهم في الآخرة فقال :

– " إن الأبرار لفي نعيم ، علي الأرائك ينظرون ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون " . فهم يجلسون علي السرر في نعيم وفضل عظيم ، ينظرون إلى ربهم أو إلى ملكهم وما هم فيه من عز ، تظهر علي وجوههم ص فة الترفة والسرور والسعادة والرياسة ، شرابهم من خمر الجنة الخالص المختوم بالمسك بعد ملئه ، أو آخره له طعم المسك ، وهذا الشراب ممزوج بماء التسنيم ، وهي عين تجري في الجنة يقال لها " تسنيم لا يتطلب التسابق والمسارعة والمنافسة من أولو العقول والأفهام ، والأمر بالتنافس هنا يدل علي شرف هذا الشراب والنعيم ، كما يدل على أن التنافس المحمود يكون في أعمال الأخرة لا في حطام الدنيا .

وفي آخر السورة تسلية لأهل الإيمان وتخفيف لما هم فيه من عذاب ، فالله سبحانه وتعالي وصف ما يلاقيه المؤمنون في مكة من أهل الشرك من استهزاء وضحك وبؤس ، ثم صور في نفس اللقطة مصير هؤلاء المجرمين في الآخرة ، فلا تحزنوا يا أهل الإيمان فسوف تضحكون وتستهزؤن بهم في الآخرة كما فعلوا بكم في الدنيا فقال : " إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا به يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلي أهلهم انقلبوا فكهين ، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ،فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون علي الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون.

سورة الإنشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)

السورة مكية يتجلي فيها ملامح القرآن المكي من التذكير بيوم القيامة والتعرض لبعض ما يحدث فيها من أهوال ، ثم بيان حال الناس فيها من شقي وسعيد ، وكذلك أسلوب السورة واياتها.

قراءات السورة :-

- قوله تعالي : " ويصلي سعيرا " : قريء " يصلي " بفتح الياء وسكون الصاد مبنيا للمعلوم ، وقريء بضم الياء وفتح اللام مع التشديد مبنيا للمجهول .

– قوله تعالي : " لتركبن طبقا عن طبق ": قريء " لتركبن" بفتح التاء وضم الباء علي خطاب جميع الناس ، وحذفت واو الجماعة " لتركبون " بسبب التقاء الساكنين وقريء بفتح الياء وفتح الباء مادة إما على خطاب جنس الإنسان كأن الخطاب لواحد فقط والمقصود .... جنسه، أو تكون خطابا للنبي صلي الله عليه وسلم ، أي ستمر . بأحوال متعددة ، أو صفة للسماء أي ستمر بطبقات السماء المختلفة ، وهو ما حدث له في المعراج ، وإذا كان الخطاب لجنس الناس . فالمعني أنك ستمر بأحوال مختلفة وهي أقدارك من غني إلى فقر ، ومن مرض إلي صحة ، ومن حياة إلي موت ..... الخ ، أو أن أطوار خلقك متعددة نطفة ثم علقة ثم مضغة ..... الخ . .

موضوع الشورة ومعناها الإجمالي : –

١– بدأت السورة بعرض مشهد الانقلاب الكوني لما يحدث يوم القيامة إثباتا لها ، وتحذيرا لمن لا يؤمن بها .

– بيان الهدف من خلق الإنسان ومصيره في الآخرة و انقسام الناس إلى فريقين : أخذ لكتابه بيمينه ، وآخذ لكتابه بيساره . .

٣– الإيمان بالقدر وبأن الله سبحانه هو المدبر لهذا الكون من خلا القسم ببعض مخلوفات الله الكونية المقدرة أو المسخرة للإشارة إلى أن الإنسان يسير وفق أقدار الله ومشيئته ، كغيره من المخلوقات .

٤ – خاتمة السورة في لوم الإنسان على عدم إيمانه بالقرآن وخضوع الله مع أن الكون كله خاضع ذليل لخالقه ومدبره سبحانه .

تحليل لبعض آيات السورة : –

تحدث المقطع الأول من السورة عما يحدث من تغير وانقلاب في الكون عند النفخ في الصور ، فالسماء تنشق بعد سماعها للنفخ فلا تتما واستسلمت لخالقها ، وكذلك الأرض مدت واتسعت بعد تسوية ما فوقها جبال وبناء ، وقيل : اتسعت لتسع كل الخلائق يوم الحساب ومع ذلك ان يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه لكثرة الخلائق ، ثم أخرجت ما في بطنها من بشر وكنوز خائفة مذعورة كالحامل التي تضع من الفزع . السماء انشقت وأذنت لربها وحقت ، وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخ وأذنت لربها وحقت ".

ذلك المشهد المهيب لأعظم مخلوقات الكون ساقه الله سبحانه الخطاب ذلك الإنسان القاسي حتي يرق قلبه ، وتتقابل مشاعره وأحاسيسه تلك المخلوقات فيخضع لربه وخالقه كما خضعت له السماء والأرض وس مخلوقاته فها هي قصتك أيها الإنسان الجاهل : "يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ، فأما من أوتي ك بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب إلى أهله مسرورا ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبورا ، ويصلي سعيرا ، إنه كان في أهله مسرورا ، إنه ظن أن لن يحور ".

اختلف العلماء في جواب الشرط الذي ورد أول السورة : " إذا السماء انشقت " فقيل : – محذوف تقديره " إذا حدث ذلك لقي الإنسان عمله خيرا أو شرا"، ودل علي الجواب المحذوف قوله تعالي : " فملاقيه ".

وقيل : في الكلام تقديم وتأخير تقديره : " يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك فملاقيه إذا السماء انشقت .

وقيل : جوابه : " فأما من أوتي كتابه بيمينه " ، فحكمه كذا. – وقوله تعالي : " كادح إلي ربك كدحا فملاقية " ، أي ساع إلي لقاء ربك أو إلى لقاء عملك ، فستلقي ما عملت إن خيرا فخير وإن شرا فشر. ويؤكد ذلك المعني ما رواه أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " قال جبريل يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك ملاقية ".

– وقوله تعالي : " فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا"، ومعني الحساب اليسير في الآية العرض ، فالمؤمن سوف تعرض عليه أعماله ثم يغفر له ما فيها من سيئات ولا يحاسب بالتفصيل . دل علي ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : من نوقش الحساب عذب ، قالت فقلت : أفليس قال الله تعالي (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال : " ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب "[1].

[1] انظر ابن كثير ٤٨٨/٤ والحديث في الصحيحين

فالمؤمن يغفر له السيئات من كتابه بعد أخذه باليمين ، فيعود إلي أهله في الجنة مسرورا .

الصورة المقابلة للكافر إذا أخذ كتابه بيساره دعي علي نفسه بالهلاك والخسارة ، فإن مصيره جهنم لكونه في الدنيا عاش فرحا مسرورا بحطامها وشهواتها ، ولم يفكر في عواقب عمله، وأنه سيرجع إلي ربه فيجازيه علي عمله جميعا ، فأعقبه الفرح اليسير في الدنيا الغم والحزن الطويل في الآخرة : " وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبورا ، ويصلي سعيرا ، إنه كان في أهله مسرورا ، إنه ظن أن لن يحور ، بلي إن ربه كان به بصيرا ".

ثم يؤكد الله سبحانه هذه الحقيقة بالقسم وهي أن الإنسان ماضت وساع في الدنيا بأحوال متعددة حتي يعود إلى خالقه وفق أقدار مرسومة مسبقا قبل خلق الدنيا ، فقال تعالي :

– " فلا أقسم بالشفق ، والليل وما وسق ، والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق" فالله سبحانه وتعالى أقسم بهذه المخلوقات العظيمة ، ليلفت نظر الإنسان إلي التفكر في هذه الظواهر فتدله علي خالقها، وكذلك ليعلم أنها مسخرة مطيعة لخالقها فيستسلم . الإنسان كذلك ويخضع لبارئه . – و " الشفق " : هي حمرة الشمس بعد غيابها ، وقيل : هي النهار والضياء . – " والليل وما وسق"، أي ما جمع ، فإن الليل إذا أقبل بظلامه كسي . به كل المخلوقات فدخلت تحت عباءته .

– " والقمر إذا اتسق"، أي إذا استدار في أحسن هيئته ، وذلك في الليالي البيض ثلاثة عشر إلى خمسة عشر .

– وقوله : " لتركبن طبقا عن طبق "، أي ستمرون بأحوال وأقدار مختلفة في الدنيا والآخرة ، والمقصود بذلك جنس الإنسان ، وقيل : المقصود به الرسول صلي الله عليه وسلم ، وقد جاء في ذلك حديث رواه البخاري عن ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد كا حال ، قال هذا نبيكم " . فمعني الحديث إما أن يكون " هذا نبيكم " فاعل " اقال. أي أن النبي صلي الله عليه وسلم فسر الآية بهذا المعني وهو أن الإنسان سيمر بأحوال مختلفة ، أو يكون قول ابن ا بن عباس : " هذا نبيكم " مبتدأ وخبر ، أي الذي يمر بالأحوال المختلفة وهو نبيكم صلي الله عليه وسلم ، والمعني الأول أولي ..[1]

– وبعد أن ساق الله سبحانه كل هذه الدلائل والحجج على كون الإنسان محاسبا وسيلاقي عمله ، وأنه خاضع للقدر كغيره من المخلوقات ، تعجب سبحانه من عدم إيمان بعض الناس فقال : " فما لهم لا يؤمنون وإذا قريء عليهم القرآن لا يسجدون ، بل الذين كفروا يكذبون ، والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون "

[1] انظر ابن كثير ٤٨٨/٤ والحديث في الصحيحين

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)

السورة مكية يظهر فيها كأخواتها ملامح الخطاب المكي في الموضوع والأسلوب واللغة ، فالسورة موضوعها الأصلي قصة مؤثرة لفئة من أهل الإيمان في الأزمان السابقة ابتلوا بملك. ملحد ألقاهم في النار جزاء ثباتهم علي التوحيد والإيمان ، من وراء أحداث القصة المجملة تناولت السورة حقائق العقيدة من التخويف بالنار واليوم الآخر ، والتذكير بصفات الله سبحانه وأسمائه العليا فهو عزيز حميد ، فعال لما يريد ، ذو العرش المجيد ، بالإضافة إلى الإشارة إلي أصول التصور الإيماني وأخلاق أهله من الثبات علي الإيمان ، والصبر علي تكاليفه والتضحية بالنفس .

وكذلك أسلوب السورة له الطابع المكي من قصر الآيات، والتهديد والوعيد، وشدة النبرة .

موضوع السورة ومعناها الإجمالي : –

تناولت السورة موضوعا أساسيا ، ومن خلاله أثارت عدة تصورات وحقائق :–

١– سرد مجمل القصة أصحاب الأخدود ، والسورة عرضت القصة في أربع آيات ، فهم فئة مؤمنة صبروا علي إيمانهم بربهم ، ولم يطيعوا الملك الملحد في كفره ، فحفر لهم الأخاديد المضرمة بالنار وألقاهم فيها ، فلم يفصل القرآن القصة ولا أسماء أصحابها، ولا مكانهم ولا أحداثها كاملة ، بل اكتفت بما يؤخذ من عبر من أحداثها ، وقد جاء في السنة تفصيل للقصية ، فقد روي الإمام أحمد عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قالى للملك: إني قد كبر سني، وحضر أجلي، فادفع إلي غلاما لأعلنه السحر. فدفع إليه غلاما كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملاك راهبه فأتي الغلام علي الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتي الساحر ضربه وقال ما حبسك. وإذا أتي أهله ضربوه وقالوا ما حبسك. فشكا ذلك إلي الراهب فقال : إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي ، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر. قال فبينما هو ذات يوم إذ أتي علي دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجاوزوا، فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر، قال فأخذ حجرا فقال؛ اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضي من أمر الساحر فاقتل هذه

الدابة حتي يجوز الناس، ورماها فقتلها ، ومضي الناس، فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني، وإنك ستبتلي فإن ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرأ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس فعمي فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: أشفني قال ما أنا أشفي أحدا إنما يشفي الله عز وجل. فإن أمنت به دعوت الله فشفاك فآمن. فدعي الله فشفاه ثم أتي الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال ل هـ الملك يا فلان من رد عليك بصرك ، فقال ربي. فقال أنا. قال لاه ربي وربك الله . قال ولك رب غيري، قال نعم ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتي دل علي الغلام فبعث إليه فقال أي بني بلغ أنك تبرأ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء، قال ما أشفي أحدا إنما يشفي الله عز وجل ، قال أنا ؟ قال لا . قال أو لك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله ، فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتي دل على الراهب فأتي بالراهب فقال: ارجع عن دينك فأبي فوضع المنشار في مفرق رأسه حتي وقع شقاه ، وقال للأعمي إرجع عن دينك فأبي فوضع المنشار في مفرق رأسه حتي وقع شقاه إلى الأرض، وقال للغلام إرجع عن دينك فأبي، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال : اللهم أكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتي دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالي فبعث به مع نفر في قرقور فقال: إذا لججتم به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فأغرقوه في البحر. فلججوا به البحر فقال الغلام اللهم و اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون. وجاء الغلام حتي دخل علي الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالي ، ثم قال للملك : إنك لست بقاتلي حتي

تفعل ما أمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني علي جزع وتأخذ سهما من كنانتي ثم قل بسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده علي موضع السهم ومات فقال الناس أمنا برب الغلام. فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقدر الله نزل بك قد آمن الناس كلهم. فأمر بأفواه السكاى فخدت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فاقحموه فيها . قال. فكانوا يتعادون ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي اصبري يا أماه فإنك علي الحق . وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة نحوه[١]

٢ – العبر والآثار المترتبة على القصة :

– ثبات وتعالي عقيدة أهل الإيمان علي الحياة والدنيا والنار ، فضحوا بأرواحهم وأهليهم وأموالهم من أجل عقيدتهم ودينهم . – قسوة وبشاعة الطغاة المجرمين في كل عصر ، فهم أناس فقدوا المشاعر الإنسانية ، فلا اعتبار الدين ولا خلق ، وسعادتهم وتلذذهم في سماع آهات الناس وصيحاتهم في النار .

٣– بيان عقاب الطغاة والكفار في الدنيا والآخرة وكذلك في المقابل جزاء أهل الطاعة والإيمان .

[١] ابن كثير ٤٩٣/٤

٤ – تناول بعض حقائق العقيدة التي يريد القرآن تثبيتها في القلوب من بيان أسماء الله وصفاته فهو العزيز الذي لا يغلب، ويقهر ما دونه ، الحميد المستحق للحمد علي نعمه في الأرض والسماء ، له القدرة والإرادة المطلقة في الكون والناس " فعال لما يريد " ، له الأولي والآخرة ، يحيي ويميت ، له العرش المجيد ، بالإضافة إلي إثبات كلامه المنزل من اللوح المحفوظ لهداية ان خلقه وسعادتهم .

٥ – الإشارة إلي قصة فرعون وثمود بإجمال سريع ، وهم أشد وأطغي من كفار مكة ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، فليحذر أهل مكة .

قراءات السورة : –

قوله تعالي : " ذو العرش المجيد " ، قريء " المجيد " بالجر صفة للعرش ، وقريء بالرفع صفة لذو ، أو خبر ثان . . – وقوله تعالي : " بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ " ، قريع: ..." محفوظ " بالجر صفة للوح ، وقريء بالضم صفة للقرآن ، والتقدير : إنه محفوظ من التحريف والتبديل. [١] .

تحليل لبعض أيات السورة : –

أقسم الله سبحانه ببعض مخلوقاته العظيمة ليؤكد علي يوم الحساب وعقاب المجرمين ، وللدلالة على قدرته المطلقة ، فقال تعالي : –

" والسماء ذات البروج"، وهي النجوم العظام ، أو منازل الشمس والقمر .

[١] انظر زاد المسير ٢٢١/٨

– " واليوم الموعود"، هو يوم القيامة . اور اس – " وشاهد ومشهود "، اختلف العلماء في معناهما على أقوال متعددة :

قيل : الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ، وقيل : الله سبحانه الشاهد والمشهود يوم القيامة ، وقيل : محمد صلي الله عليه وسلم ويوم القيامة ، وقيل : الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم ..... وقيل غير ذلك . والشاهد في اللغة يحتمل معنيين : إما ما يثبت به الدعوة وهي الشهادة ، أو الشاهد بمعني الحاضر . والله سبحانه أطلق الشاهد والمشهود ولم يحد جنسهما ، ولذلك اختلف العلماء في معناهما بناء علي دلالة الشاهد في اللغة ، ولذلك احتمل اللفظ المعاني السابقة جميعا فالشاهد يشمل كل مقام وكل يوم عظيم من أيام الدنيا والآخرة ، ولا تعارض بين الأقوال السابقة. فكلها من الأيام والأمور العظام ، وقد أبهم الله سبحانه معناهما ليزيد في عظمتهما كأنه يوم أو شيء فريد لا يمكن وصفه والإحاطة بعظمته .

ثم بدأ الله سبحانه في قص ما حدث لأهل الإيمان قبل الرسول صلي الله عليه وسلم وصحبته ، وما أصابهم من إحراق وبلاء يفوق الوصف، وفي ذلك تسلية للرسول صلي الله عليه وسلم وصحبه ، وأمر لهم بالثبات علي التوحيد مهما كلفهم من تضحيات ، فقال تعالي: "قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، ... وهتم علي ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ".

واختلف العلماء في المقسم عليه ، فما هو جواب القسم السابق : " والسماء ذات البروج .... " قيل : – محذوف يدل على قوله تعالي : " قتل أصحاب الأخدود " ، أي أن الله س بحانه أقسم بهذه الأشياء العظيمة تأكيدا علي أن كفار قريش ملعونون معذبون كما حدث لأصحاب الأخدود .

– وقيل : الجواب هو الآية نفسها " قتل أصحاب الأخدود " ، أي قد قتل..

– وقيل : الجواب قوله تعالي :" إن بطش ربك لشديد " ، أي أقسم رجال علي ذلك . والأخدود معناه الشق في الأرض ، فقد حفر الطغاة است و براى حفائر وأوقدوا فيها النار ، وألقوا فيها من لم يكفر . والآية تحتمل و لا أن تكون خبرا ، ويعني بأصحاب الأخدود هم المؤمنون الذين قتلوا يا بلا أي لقد قتلوهم ظلما وعدوانا لأنهم لم يكفروا . وقيل : الآية دعاء عليهم ، والمقصود بهم الطغاة الذين قتلوهم ، أي البلاد التي لعنهم الله وأهلكهم .

– " النار ذات الوقود " ، بدل من الأخدود ، أي أضرموا فيها النيران . العظيمة.

– " إذهم عليها شهود " ، أي وهؤلاء الطغاة ينظرون ويشهدون إحراقهم ، والنار تأكلهم ، أو ستشهد على هؤلاء المجرمين جوارحهم يوم القيامة على أنهم فعلوا ذلك – " وما نقموا منهم أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد " ، أي ما أجرم هؤلاء المؤمنون ، ولا يوجد سبب لإحراقهم إلا أنهم وحدوا الله سبحانه ولم يكفروا بالعزيز الحميد . " والله علي كل شيء شهيد " ، تحذيرا للطغاة ، بأن الله سبحانه لا يغيب عن علمه شيء ، وسيحاسب علي الصغير والكبير .

ثم تناولت الآيات بعد ذلك حقائق الحساب والجنة والنار ، وأن الدنيا لم تخلق عبثا ، فهناك يوم ينتهي إليه الجميع ، فيحاسبون على ما قدموا ، فريق من أهل النار ، وفريق من أهل الجنة فقال تعالي: " إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ". أصل الفتنة الابتلاء والاختبار ولذلك فالوعيد يشمل أصحاب الأخدود ، ويشمل كل من فتن المؤمنين عن دينهم ، وصرفهم عن التمسك به، وزين لهم الباطل والحرام .فكل من يفعل ذلك بالمؤمنين فلهم نفس العذاب :"فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ". فالله سبحانه جاء بلفظ الآية على العموم " الذين فتنوا " ولم يقل أصحاب الأخدود فقط لهم عذاب جهنم ، فدل ذلك على أن كل من يفعل فعلهم له نفس عقابهم ، وفي المقابل من آمن وصدق إيمانه بالطاعة فقد فاز بالجنات .

وبعد أن عرض جزاء كل فريق في الآخرة أعقب ذلك ما يؤكده ، وأن الله قادر علي ذلك يجمع الناس ويحاسبهم وأن له الأسماء الحسني والصنفات العليا فقال تعالي :

– " إن بطش ربك لشديد ، إنه يبديء ويعيد ، وهو الغفور الودود، ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد "، نصت الآيات على عدة أيماء وصفات للخالق سبحانه ، جمعت بين ما يشير إلى التهديد والوعيد وما يدل على الترغيب والرجاء فأول ذلك :

– " إن بطش ربك الشديد " ، عقابه شديد فليحذر العصاة والطغاة .. – وهو الغفور الودود " ، يغفر لمن تاب وعاد إليه ، متودد إلي أوليائه محب لهم .

– " ذي العرش المجيد " ، العرش هو السرير ، فله سرير في سمائه في غاية العظمة والجلال لا يعلم عظمته إلا هو سبحانه فلا ندري كنهه ، والمؤولون : قالوا المقصود بالعرش الملك والسلطان ، كما يقال : فلان علي سرير ملكه ، أو زال عرش فلان ، أي ملكه [1] ، والصواب عدم التأويل .

– " فعال لما يريد"، إثبات لقدرته المطلقة ، ولمشيئته الحرة ، فهو يفعل ما أراد لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه.

اما ثم ضرب الله مثالا آخر لبيان سنته في إهلاك الظالمين ونجاة المؤمنين و ، وأن صراع الحق مع الباطل دائم علي مر الأزمان ، والعاقبة في كل حال للمؤمنين لأن الأمر بيد الله .

– "هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وثمود ، بل الذين كفروا في تكذيب ، والله من ورائهم محيط ".

ثم أشار الله سبحانه إلي أن كل ذلك كلامه أودعه قرآنه المجيد ، المأخوذ من اللوح المحفوظ عند العرش ، المودع فيه كل هذه الحقائق ، وكل ما يحدث في الكون إلى قيام الساعة ، فيجب أن يؤمن الناس بالقدر وأن الأمر بيد الله، وعليهم أن يؤمنوا بالقرآن وبأصله وهو اللوح المحفوظ . وفي معني ؟ محفوظ " أقوال : قيل لا

[1] انظر التفسير الكبير ١٢٤/٣١

يمسه غير طاهر ، وقيل : لا يطلع عليه غير الملائكة ، وقيل : محفوظ من التغيير والتبديل ، وكل ذلك صواب والله أعلم ..[1]

ما يستفاد من السورة : -

- قدرة الله سبحانه وتعالي وعظمته الظاهرة في خلق هذا الكون العظيم .

- هزيمة الظالمين والطغاة وشدة عقابهم ، وأن العاقبة للمتقين .

- ثبات المؤمن علي دينه ولو تكلف ذلك التضحية بنفسه وما يملك .

- قصص القرآن المقصود بها العبرة والعظة للمؤمنين لا التسلية والعلم .

- إثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العليا .

[1] انظر التفسير الكبير ١٢٦/٣١

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

السورة مكية كنظيراتها في الجزء تتحدث عن قضايا العقيدة من إثبات الملائكة الحفظة والكتبة ووجوب الإيمان بهم ، والتذكير بالأخرة والحساب ، والاستدلال لها بنشأة الإنسان من الماء ، وإخراج الزرع من الأرض الميتة . وكذلك وجوب الإيمان بالقرآن وأنه كلام الله الحق . وأسلوب السورة متماثل مع غيرها من السور المكية .

قراءات السورة:-

- قوله تعالى : " إن كل نفس لما عليها حافظ : قريء " لا " بالتشديد ، وتكون بمعني "إلا"، و " إن " نافية ، والمعني ما كل نفس إلا عليها حافظه وقريء " لما " بالتخفيف وتكون زائدة ، و بـ " إن "هي المؤكدة المخففة ، والمعني أن كل نفس لعليها حافظ.

موضوع السورة ومعناها الإجمالي :

تناولت السورة عدة قضايا من أمور العقيدة : -

١- وجوب الإيمان بالملائكة الحفظة والكتبة .

٢ - إثبات الإيمان باليوم الآخر والإستدلال له بقدرة الله سبحانه على خلق الإنسان من ماء.

٣- وجوب الإيمان بالقرآن وأنه كلام الله الحق .

٤ - تسلية النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه ﷺ .

٥- الإشارة إلي شدة كيد الكفار ومكرهم ، مع الأمر بالصبر علي أذاهم حتي يأذن الله ، فالأمر بيده سبحانه وهو أشد مكرا.

تحليل لبعض آيات السورة : -

في المقطع الأول من السورة قسم من الله سبحانه بعظيم مخلوقاته علي أن الملائكة حق وأنها موكلة بحفظ الإنسان وإحصاء عمله حتي تنتهي رحلته الدنيوية فقال تعالي :

- " والسماء والطارق ، وما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب ، إن كل نفس لما عليها حافظ " ، وقد فسر الله سبحانه الطارق بأنه النجم الثاقب ، أي الذي يثقب ضوءه ظلام الليل ، وإعادة السؤال عنه التعظيم شأن كواكب السماء ، وبالتالي تعظيم خالقها ومدبرها . وجواب القسم : إن كل نفس لما عليها حافظ ".

والله سبحانه وكل ملائكته بحفظ الإنسان وإحصاء عمله بعد أن خلق له الكون ثم بين بعد ذلك سبحانه إنه لم يفعل ذلك عبثا ، بل لغرض معين ، .. وهو محاسبة هذا الإنسان وإنصاف المظلوم من الظالم ، لذلك فهناك موعد ولقاء بعد رحلة الدنيا ، وخالق الإنسان من هذه النطفة المهينة لا يعجزه إعادته ليوم الحساب ، فقال تعالى : "فلينظر الإنسان مما خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ، إنه علي رجعه لقادر ، يوم تبلي السرائر ، فما له من قوة ولا ناصر ".

يجب علي الإنسان العاقل أن يتفكر في أصله، كيف تحول هذا الماء الدافق من الرجل والمرأة إلى إنسان سوي متكامل، فمن علم هذه النطفة في الرحم هذه الوظائف والعمليات المعقدة ، فخلية موكلة بتشكيل العين، وأخري للأذن ، وأخري للعقل ..... ويستمر هذا المصنع العجيب فترة معينة ثم يخرج لنا إنسانا سويا يسمع ويري ويتحرك ويصوت ... ! فمن قام بكل ذلك في هذا المكان المظلم الضيق المفصول عن العالم في رحم الأم ؟ فلا شك من فعل هذه العجائب قادر على إعادة هذا الخلق للحساب وللعقاب ، بل العودة أهون من النشأة ." وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه " ، فيبعث في يوم يظهر فيه كل شيء حقيقة بدون تزوير ولا خداع ، فلا معين ولا منقذ ولا ناصر لأحد إلا الله سبحانه ، فيزول المال والجاه والقوة والمعين والحبيب .... " يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم " . ومعني خروج الماء من الصلب ، أي فقرات الرجل وظهره ، وترائب الماء هي صدرها . .

ثم أقسم الله سبحانه مرة علي أخري علي أن القرآن كلام الحق ، الذي لا يأتيه الباطل ، فيجب الإيمان به والعمل بأحكامه .

– " والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، إنه لقول فصل، وما هو بالهزل ". أقسم بالسماء التي ترجع بالمطر إلي الناس، لتستمر الحياة والأحياء، وكذلك بالأرض التي أمرها بأن تنشق . وتخرج خيراتها إلى الناس.

ثم وجه الله المؤمنين بأن يصبروا علي أذي الكفار في مكة ، فإن العاقبة لهم ، والله أمهلهم لقدر ولحكمة ، فالله غالب على أمره ، بيده الأمر والخلق . فلا تخشوا كيدهم وإن كان شديدا ، فالله أقوي وأعز .

ما يستفاد من السورة : –

١–وجوب الإيمان بالملائكة .

٢ – الإشارة إلى قدرة الله سبحانه علي البعث كما خلق الإنسان من نطفة .

٣ – أن القرآن كلام الله فيجب العمل بأحكامه والإهتداء بهديه .

٤– أن الامر والملك لله سبحانه ، ولا يعجز شئ في الكون ، فلا يرهب أهل الايمان قوة الكفار .